راهن اللّغة العربية في أوطانها ومسؤولية أبنائها نحوها

د محمد بن قاسم ناصر بوحجام – الجزائر–

تمهيد

كلّ أمّة تريد أن تثبت وجودها، وتحمي نفسها من الاستلاب والذّوبان، وتروم التّطوّر والتّفاعل مع بقية الأمم في العالم؛ لتبقى حيّة، يُعترف بها، ويُحفظ مكانها ومقامها في الوجود...تجتهد وتجاهد في المحافظة على مقوّماتها، التي تكشف عن حقيقتها، وتبرز قيمتها ومكانتها.

من هذه المقوّمات التي ترتكز عليها هذه القيمة وهذه الحقيقة " اللّغة " إلى جانب الدّين. يقول الأستاذ أحمد الرّيسوني: " اللّغة والدّين هما المحدّدان الأساسيان لهوية أيّة أمّة من الأمم وانتماءاتها على مرّ التّاريخ، ويزداد هذان المحدّدان قوّة في ذلك إذا الْتَحَمَا في بوتقة واحدة، بحيث تكون اللّغة القومية لجماعة بشرية ما، هي نفسها لغتها الدّينية.

ورغم المحاولات الحديثة والحثيثة لإعادة تشكيل الأمم والشّعوب وانتماءاتها والانتماء إليها، على أسس جغرافية وسياسية وقانونية، فإنّ ذلك لَمْ يُلْغِ ولَمْ يُضعف قوّة الانتماء الدّيني والانتماء اللّغوي، فما زال الولاءُ القومي واللّغوي والانتماء الدّيني يعلوان فوق الانتماء الوطني السّياسي، في حالة ما إذا كانا مختلفين. " ([1])

تأتي اللّغة في صدارة ما يُعتمد في تشكيل بنية الأمّة، فهي مادة للفكر، ورموز لحالات نفسيّة. يقول الدّكتور شكري فيصل: " الحضارة في نوع من التّعريف الموجز، هي لغة. وعن طريق اللّغة يكون التّفكير كلّه، ويكون التّواصل كلّه، ويكون التّفاعل بين العقول والأفكار..اللّغة هي أضخم عملية حضارية تنشئ الحضارة، وتتمثّلها وتعبّر عنها، وهي ذات رصيد حضاري، لا حدود له؛ ولهذا فإنّ نموّ لغتنا وازدهارها وقيامها بدورها الفكري هو معلم بارز من معالم حياتنا الحاضرة، وطريق أساسي من طرق بناء المستقبل. " ([2])

يعني هذا أنّ للّغة أدوارًا ووظائفَ نفسية عاطفية، وتربوية تثقيفية، تعمل على ربط الأفراد بالفكر الذي تحمله اللّغة، وتحمل على تأصيل الانتماء، وعلى توطيد العلاقة بالأصول، وتغرس روح الحماسة والعاطفة إلى

---

[1] – أحمد الرّيسوني، " نداء من أجل العربية "، مجلّة إسلامية المعرفة، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي)، السّنة الثّالثة عشرة، عدد: 49، صيف 1428هـ/ 2007م، ص: 5.

[2] – الدّكتور شكري فيصل، " قضايا اللغة العربية المعاصرة، بحث في الإطار العام للموضوع "، ينظر كتاب: من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، (المنظّمة العربية للتّربية والثّقافة والعلوم)، تونس، سنة 1990م، ص: 32.

المنابع والجذور في النّفوس... ولأنّ اللّغة كما يقول الدّكتور شكري فيصل: " تحمل ضمير الأمّة وروحها، وتحمل طرائق تفكيرها وتعبيرها، وتؤلّف شرايينها وأوردتها وأعصابها، التي تنقل أحاسيسها وانفعالاتها.. ولذلك يجب أن تسلم لها دائمًا أصولها، حتّى لا تداخلها الهجنة، ولا يتسرّب إليها ما يفقدها خصائصها عن طريق البحوث النّظرية المجرّدة" ([3])

فاللّغة هي الفكر والوجدان والذّاكرة الجماعية...؛ إذ هي التي تترجم عن الخواطر، وتنقل الأفكار والمشاعر، وتسجّل حقيقة ما تتميّز به الأمّة، وما تملكه من فكر وثقافة...يقول الدّكتور جميل عيسى الملائكة: " اللّغة كما يقرّر أكثر علمائها لا تقتصر وظيفتها على التّفاهم بين الأفراد، وإنّما تتجاوز ذلك إلى أنّها الأداة التي يتعلّم ويفكّر بها الإنسان، فهي تقود عقله وتوجّهه، وبها يستدلّ على السّلوك القويم مع الآخرين، وهي فضلاً عن ذلك تحفظ التّراث الثّقافي للمجتمعات، فهي إذن منظّمة للعلاقات الاجتماعية، ووسيلة التّعامل والتّعاون بين أفراد المجتمع، وأهمّ أدوات الحفاظ على كيانه, ويتبع ذلك أنّها العامل الأوّل في انتشار الثّقافة وتداولها في المجتمعات المتحضّرة، وأنّها من أهمّ مقوّمات الحضارة الإنسانية." ([4])

بمعنى دقيق: إنّ اللّغة هي عنوان الشّخصية التي تميّز أمّة عن غيرها. إلى جانب كونها وسيلة للتّفاهم والتّعليم والتّطوّر، التي تعين أيّ أمّة على الاحتكاك والامتزاج والتّحاور مع الثّقافات والحضارات المختلفة. ومن خلال ما تتميّز به لغتها تظهر أصالتها وقوّة تأثيرها، أو هشاشتها وضعفها ووهنها...

يقول أحمد الرّيسوني: " وتشكّل اللّغةُ الأمُّ، لُغَةُ التَّنشئةِ والتّعامل حضنًا وغذاءً نفسيًا وعاطفيًا لشخصية الإنسان. فالمفهوم الأَوَّلِي والبسيط السّائد عن وظيفة اللّغة، بأنّها أداةٌ للتّواصل والتّفاهم بين النّاس فحسب، هو جزء من الحقيقة، وليس كلَّ الحقيقة. ووصف اللّغة بعبارة (اللّغة الأمّ) هو التّعبير الحقيقي الصّادق عن دور اللّغة ووظائفها. فاللّغة (الأمّ) تعني أنّ للّغة وظائف كوظائف الأمّ." ([5])

فإذا كانت الأمّ تقوم بمهمّة تنشئة الوليد على النّموذج الذي يطلبه المجتمع الذي ينتمي إليه هذا الفرد الصّغير؛ ليكبر على الأصول والمبادئ التي تشكّل شخصيته الحقيقية، فعدّت مدرسةً، يتخرّج فيها أفراد المجتمع، فإنّ للّغة الوظيفة نفسها في تخريج الأفراد على الفكر الذي ينتمون إليه. يعني هذا أنّ الهوية مرتبطة كلّ الارتباط باللّغة قبل كلّ شيء كالعرق والوطن والدّين والأرض. من هنا كانت مهمّة اللّغة خطيرة. فلابدّ أن توفّر لها الشّروط الضّرورية كي تقوم بدورها أحسن قيام.

لأهميّة اللّغة ودورها الأساس في تشكيل الشّخصية، والبناء الحضاري، كانت مسألة اللّغة مرافقة لبداية الوجود البشري على الأرض. يقول أحمد الرّيسوني: " ولحكمة ما أرادها الله تعالى كانت المسألة اللّغوية

---

[3] – ينظر المصدر السّابق، ص: 38.

[4] – الدّكتور جميل عيسى الملائكة، " اللّغة العربية ومكانتها في الثّقافة العربية الإسلامية "، ينظر المصدر السّابق، ص: 123.

[5] – مجلّة إسلامية المعرفة، عدد: 49, ص: 5.

حاضرةً منذ اللّحظة الأولى لخلق الإنسانِ، فكان أوّل تعليم ربّاني تلقّاه الجنس البشري هو اللّغة والبيان، حتّى قبل أن يتعلّم آدم كسب قوته، أو عبادة ربّه، أو ستر عورته. ﴿ وعَلّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّها ﴾ (البقرة، الآية: 31).﴿ الرّحمن عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيانَ ﴾ (الرّحمن، الآيات: 1 – 4). وأقلّ درس يستفاد من هذا، هو أنّ للّغة وظيفة أساسية وعاجلة في حياة الإنسان" ([6])

اللّغة العربية لن تخرج عن هذا المفهوم والتّقدير للّغة، فقد أثبتت أنّها في درجة القوّة التي تحمل فكرًا كبيرًا قويًّا أصيلاً، وأنّها في مستوى المسؤولية التي أنيطت بها في الكشف عن هذا الفكر الذي تحتضنه، وأنّها وفية للأصول التي تنتمي إليها: تعبيرًا عنها، ونقلاً لما تفرزه هذه الأصول، ونشرًا له، ومحافظة على الإرث الذي أبدعته. وقد أثبتت إيفاءها بما علّق عليها من مسؤولية في توثيق الصّلة بهويّة الأمّة الإسلامية. يقول جميل عيسى الملائكة: " وقد كانت اللّغة العربية، وما زالت وثيقة الأواصر بهوية هذه الأمّة ووجودها وشخصيتها وخصائصها, فقد وعت منذ أمد بعيد تكوين الأمّة الحضاري، وواكبت تطوّر تراثها الثّقافي في العلوم والآداب والفنون والتّشريع والفلسفة، وتعهّدت نقله من جيل إلى جيل، عبر العصور. فهي قلب الأمّة النّابض وجهازها المحرّك." ([7])

في المعنى نفسه يقول الدّكتور عبد المجيد حنون: " ومن هذا المنطلق كانت اللّغة العربية الرّباط الذي جمع قديمًا قبائل متعدّدة، وهي اليوم الرّباط الذي يجمع شعوبًا مختلفة العراق، متنوّعة الأنظمة السّياسية، ومتباعدة جغرافيًا في هوية واحدة، أساسها اللّغة العربية، تسمّى الأمّة العربية، بما في ذلك بلدنا الجزائر." ([8])

اللّغة العربية تشكّل عنصر الارتكاز في الكيان العربي والإسلامي، وبؤرة انصهار عناصر تكوين الأمّة العربية والإسلامية، ومحور انبعاث أشعّة الوجود العربي والإسلامي من دونها لا تكون لهما حياة ولا حسّ. ومن هذه الأشعّة يتحرّك الوجود كلّه. من هنا كانت الأمّة العربية الإسلامية تلتفّ حول اللّغة العربية، جاهدة في المحافظة على وحدتها. يقول الدّكتور محمّد خليفة الدّناع: " وأهمّ ما يميّز هذه الأمّة أنّها تتعامل بلغة واحدة: عقيدة وسلوكًا وبحثًا وتدريسًا. فلغة التّراث، ولغة القرآن، ولغة الدّرس، ولغة الحديث واحدة، أو يجب أن تكون واحدة؛ رغم اختلاف البقاع وتشتّت الأقطار بعوامل سياسية استدمارية عبر حقب التّاريخ، إلاّ أنّ رابطها اللّغة العربية التي حاول الاستدمار أن يطمسها ويمحو معالمها. " ([9])

---

[6] – المصدر السّابق, ص: 6.

[7] – ينظر المصدر السّابق، ص: 123.

[8] – الدّكتور عبد المجيد حنون، ينظر كتاب: اللّغة والهوية والتّعدّدية اللّسانية "، نشر المجلس الأعلى للّغة العربية (الجزائر)، نوفمبر 2006م، ص: 88.

[9] – الدّكتور محمد خليفة الدّناع، " العربية الفصحى رباط قومي"، ينظر كتاب: من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، ص: 158.

إذا كان للّغة العربية هذا الدّور المهمّ، في وضع القاعدة الأولى في بناء الصّرح الحضاري للأمّة العربية والإسلامية، فإنّ الالتفاف حولها وحمايتها وتطويرها مسؤولية كبيرة، يتوقّف عليها البقاء وفرض الوجود، ومقاومة الاستلاب، وضمان مكان في حلبات الصّراع والقراع، والنّزال والنّضال، التي هي سمة من سمات العلاقة بين الثّقافات والحضارات. لا يفوز ولا ينتصر في هذه المعارك إلاّ من تشبّع بمقوّماته وتشرّبها، وتسلّح بها وتحمّس لها، وانطلق في حياته وبناء فكره منها. يقول الدّكتور صالح الخرفي: " إنّ فوز الأمّة العربية في معركة الهوية الثّقافية متوقّف على الاعتماد على المنطلقات القومية في السّعي لإثبات وتأكيد الهوية. وفي طليعة تلك المنطلقات اللّغة العربية، فهي الطّليعة المتقدّمة والصّفّ الأمامي، ورأس الرّمح في معركة الهوية." ([10])

كيف هي حال اللّغة العربية في الوقت الرّاهن؟ ما علاقة أبنائها بها؟ كيف هو حضورها في حياتهم اليومية؟ في حياتهم العلمية؟ في أجهزة إعلامهم؟ كيف يقدّمها المنتمون إليها للعالم؟ هل يرون لها مستقبلاً؟ هل لهم ثقة بها أن ترتفع بهم إلى مدارج الكمال؟ هل يطمئنّون إليها أن توفّر لهم فرص الإبداع والابتكار، كما يرون ذلك في اللّغات الأخرى؟ كيف ينظرون إليها؟ هل يرونها عاجزة عن حمل المعارف؟ هل يعتقدون أنّها تقف عائقًا أمام اقتحام عالم المعرفة والمعلوماتية؟ ثمّ أين الخلل في عدم إتقان بعض أبنائها (ربّما أغلبهم) بعامّة، ومتعلّموها ومثقّفوها لها؟...ما هو مكانها في قلوب السّاسة؟ ما حظّها في مراسيم تنظيم شؤون البلدان العربية؟ هل يمكن النّهوض باللّغة العربية في مختلف المستويات والمجالات والأصعدة؟ هل يمكن التّرغيب فيها وتحبيبها للنّاشئة — بخاصة – ؟ هل يمكن وضع مخطّطات ومشروعات في التّعريف باللّغة العربية، والكشف عن جمالياتها وخصائصها؛ حتّى يرفع عنها الغبن واللّبس والتّهم التي ألصقت بها؟ هل في نيّة أبنائها إفادة غير النّاطقين بها، وإتباع سياسة محكمة لتلبية شغفهم في إتقان هذه اللّغة؟ بالجملة هل يمكن تغيير الواقع، وتبديل حال اللّغة العربية الرّاهن، وإصلاح الخلل ورأب الصّدع؟ وردم الفجوة بين الأفراد واللّغة الأمّ؟ فترجع إلى سابق عهدها وإبداعها، كما كانت في الحقب الماضية؟ ([11])

قوة اللّغة العربية ومكانتها

يقوا صالح الخرفي: " ...فاللّغة العربية قوام الشّخصية في الوطن العربي عموديًا، وبعدها أفقيًا في الشّعوب الإسلامية، التي تربطنا بها رابطة الدّين، فإذا تعزّز الشّعورُ الدّيني بالأداة المعبّرة عنه تعانقت العروبة والإسلامُ في أروع مظاهرهما وأكمل صورهما وأوسع آفاقهما؛ لما فيه خير البشرية جمعاء." ([12])

---

[10] – الدّكتور صالح الخرفي، " اللّغة العربية هويتنا القومية "، ينظر المصدر السّابق، ص: 24.

[11] – عرض الدّكتور محمد العربي ولد خليفة مجموعة من الأسئلة في هذا السّياق. ينظر كتاب: اللّغة والهوية والتّعدّدية اللّسانية، نشر المجلس الأعلى للّغة العربية (الجزائر)، نوفمبر 2006م، ص: 8 ، 9.

[12] – من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، ص: 22.

اللّغة العربية هي المقوّم الأساس في تكوين شخصية الفرد المسلم، هي السند الذي يسند كيان الأمّة، هي الرّمز الذي يبرز حقيقة الفرد العربي، هي الوعاء الذي يختزن الثّقافة العربية والإسلامية، هي الأداة الّتي تعمل وتحمل ابن هذه اللّغة على الإبداع وإنتاج المعرفة...إلى جانب كونها العنصر الذي يوحّد المسلمين بمختلف أوطانهم وجنسياتهم.

إنّ اللّغة العربية هي الحياة العربية الإسلامية، والوجود العربي والإسلامي، ففيها تُقْرَأُ هذه الحياة، وهذا الوجود في كلّ جوانبهما: الفكرية والفنّية والاجتماعية والنّفسية...التأمّل فيها والبحث فيها يقدّم الوجه الحقيقي لهما. ينتج عن هذا أنّ طريقة التّعامل معها، وصلة أهلها بها هما اللّذان يعطيان القيمة الصّحيحة لها. ويقدّمان الدّليل المحسوس أو الواقعي لما يمكن أن تفرزه من نتائج حسنة أو سيّئة، وما تمنحه من قوّة أو ضعف، تضعها في خانة معيّنة، ينظر إليها النّاس من خلالها. يقول الدّكتور محمد سويسي: " إنّ اللّغة العربية هي مستودع الثّقافة العربية، وهي صلة الأمّة بالأجيال السّابقة، وصلتهم بعضهم ببعض في الحاضر، وصلتهم بالأجيال القادمة..." ([13])

للأسف الشّديد إن هذه اللّغة لم تعد تحمل تلك القيمة، و لم تصبح لها تلك المكانة، و لم يعد أبناؤها يحتفون بها، أو يقيمون لها وزنًا. فهي في أرضها غريبة، وبين أهلها مهينة، ومن القائمين عليها مهمّشة، ومن أقامها وضعها على أرض هشّة. وربّما انطبق على الفرد العربي في البلدان العربية قول المتنبّي:

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللّسان

إنّها لم تعد تجد من بنيها اهتمامًا ولا تقديرًا. بل هم يصمُونَها بالعقم، ويصفونَها بالتّخلّف، وَيَسَمُونَها بالغريبة عن زمانها، وغير المنسجمة مع العصر. وتَبِعَ ذلك ازدراء غيرهم لها، وتزهيد أبنائها فيها، وإقصائها من المحافل العامّة، والمنتديات العالمية. يقول الدّكتور شكري فيصل: " اللّغة العربية إذن ليست في وضع أمني سليم، يساعدها على التّطوّر الحقيقي في ملاحقة الحضارة واحتوائها. إنّها في حالة حربٍ. الدّفاعُ عن الذّات يشغلها: دفاعها أمام الغزاة من الخارج، وأمام الضّعفاء من الدّاخل. وهي حالة من حالات الاستنزاف، يجب أن تتجاوزها؛ حتّى تلتقي قدراتنا اللّغوية كاملة على العمل لنصرة العربية، بعيدًا عن كلّ جدلٍ نظري، أو نقاش لا مردود له، بعد أن استقرّ في الذّهن اللّغوي البشري أنّ لغة الشّعوب ذاتها هي أقصر الطّرق إلى تقبّل المعرفة والعلم والحضارة." ([14])

إنّ اللّغة العربية هي أحد مظاهر السّيادة الثّقافية، الاعتزاز والتحصين بها، يحفظ الشّخصية، ويدفع إلى الإبداع والابتكار، واكتساب المعرفة وبناء الحضارة. لذا يجب أن تنأى عن المشاكل التي تعيقها عن امتلاك

---

[13] – المصدر السّابق، ص: 154.

[14] – المصدر السّابق، ص: 33.

هذه المميّزات. لكن واحسر تاه، إنّ اللّغة العربية تتخبطّ في مشاكل كثيرة سبّبت لها إعاقات، حبستها عن الانطلاق والإبداع. فما هي هذه المشاكل التي تعاني منها في الوقت الرّاهن؟ أو ما هي مظاهر هذه المعاناة؟

المشاكل التي تعاني منها اللّغة العربية

هي كثيرة نشير إلى بعضها، على سبيل التّمثيل، بغيةَ الحسيس والتّذكير بالواجب نحو هذه اللّغة. ([15]) هذه المشاكل، أو المعاناة إذا استمرّت، تتضاعف وتقوى، فتعرّض العربية للخطر، وبعدها تصاب الأمّة الإسلامية في الصّميم. ([16])

1 – اتّهام اللّغة العربية بالعجز عن الإبداع ومواكبة العصر

هذه الفرية وهذه التّهمة تعدّ أخطر دعوى ترفع ضدّ اللّغة العربية؛ بغية النّيل منها أوّلاً، وبالفكر الذي تحمله بالتتبع، وقصدَ صدّ أهلها عنها، وتحويل قبلتهم وجهتهم نحو فكرٍ غير فكرهم. يقتنع السّذّج والمغفّلون وأصحاب الضّمائر الرّخوة، والنّفوس الواهنة بحقيقة ما يمليه عليه أولئك القاسطون؛ فينصرفون عن لغتهم (الأمّ)، وعاء فكرهم الحقيقي، وحاملة رسالتهم الصّحيحة، ومستودع ثقافتهم الأصيلة...فيزدروها ويحتقروها. فيكنّون لها العداء، ممّا يؤدّي إلى فتح واجهات الصّراع داخل المجتمع العربي والإسلامي، حول المقوّمات والأصول والمبادئ، فتُعْرَضُ مشروعات محاكمة الانتماء، أو المزايدة عليه، أو التّشكيك فيه. إلى غير ذلك من المشاكل والملهيات التي تصدّ عن التّوجيه الصّحيح للطّاقات والقدرات. تقول الدّكتورة مها خير بك ناصر: " ...تثير هذه الإشكالية جدلاً دائمًا بين الطّلاب وأساتذتهم، وبين المثقّفين أنفسهم، وتظهر النّتيجة شكلاً من الهروب من واجب المحافظة على الذّات القومية، والتّخلّي عن العمل على تعزيز الانتماء، فتلقى التّهم على اللّغة العربية؛ لأنّها في رأي معظم المتعلّمين غيرَ قادرة على مواكبة التّطوّر العلمي والحضاري، ولا تستوعبُ المصطلحات العلمية الحديثة، ولا تساعد على فهم النّظريات العلمية المتطوّرة، وهي في رأي بعض دارسي العلوم الإنسانية عاجزة عن التّفاعل مع النّظريات الألسنية الحديثة." ([17])

أمام هذا السّيل العارم من التّهم الباطلة لا ألبث أن أردّد قائلا لهؤلاء الضّعفاء الواهنين:

نعيب لساننا والعيّ فينا وما للسانِنا عيٌّ سوانا

عجزنا عن مواكبة المسار فقمنا حاملين لها سِنانا

---

[15] – ذكر بعضها الدّكتور محمّد بوغازي, ينظر كتاب توطين المعرفة العلمية والتّكنولوجية وأهميّة نشرها بالعربية، نشر المجلس الأعلى للّغة العربية، الجزائر، نوفمبر 2006م، ص: 23.

[16] – ينظر الدّكتور عدنان علي رضا النّحوي، وكتابه: لماذا اللّغة العربية، ط1، دار النّحوي للنّشر والتّوزيع، الرّياض، 1418هـ/ 1998م. فيه فصل، عنوانه: " حقيقة الخطر الذي يهدّد الأمّة المسلمة حين تضعف اللّغة العربية " ص: 51 – 60.

[17] – الدّكتورة مها خير بك ناصر، " إشكالية اللّغة العربية والعولمة في ضوء البنية اللّغوية وكيميائية التّحوّل. "، مجلّة اللّغة العربية، المجلس الأعلى للّغة العربية, (الجزائر), العدد السّادس عشر، خريف 2006م، ص: 284.

2 – ضعف العصبيّة القومية عند بعض أبناء العربية

تشكو اللّغة العربية وهنًا في العلاقة الحميمية بينها وبين بعض أبنائها، ممّا نتج عنه فتورٌ في الحماسة لها، أدّى إلى عدم الاعتراف بها؛ مقوّمًا يبني الشّخصية، وأداة فعّالة تساعد على الإبداعِ، وعنصرًا يعين على مواكبة التّطوّر العلمي والتّكنولوجي...لذا نُفِثَ في روعهم، ورسخ في أذهانهم أنّه: لا مجال للتّعامل بها، أو الاحتفاظ بها. إنّها ليست في شيء من الأهميّة والجدوي. النتيجة والمحصّلة من ذلك اللّجوء إلى اللّغات الأخرى والاهتمام والاحتفاء بها بديلا عن اللّغة العربية. تقول مها خيربك ناصر: " جسّد الاعتزاز بالمنطوق الأجنبي حالة تغريب عن اللّغة القومية، فعكس العجز عن إتقان لغة العصر شعورًا بالنّقص، وإحساسًا بالعجز عن مواكبة التّطوّر العلمي والتّكنولوجي، وبلغت سيطرة اللّغات الأجنبية في بعض البلدان العربية درجة يعجز معها المتعلّم معرفة اللّفظ العلمي أو الأدبي، أو التّداول اليومي في اللّغة العربية، وصارت المعرفة باللّغة العربية عند بعضهم مرادفة للجهل والأميّة. " ([18])

إنّ هدا الشّعور، أو هذه النّظرة هي من أكبر الأدواء التي تصيب العربية في الصّميم. إنّها دعوى باطلة، وفكرة خاطئة. تسبّب ظلمًا وإجحافًا كبيرين، ينالان اللّغة من أبنائها، وظلم ذوي القربى أشدّ وأفتك سلاح يفضي إلى الهلاك. ثمّ إنّ هذا الاعتقاد يصرف فلذات الأكباد إلى وجهات أخرى، وترك الأمّ تشكو الغربة والبعد ونكران الجميل، بِضربِها بضرّات لها، تتربّص بها الدّوائر لتنقضّ عليها، ودفع الأبناء لينفضوا أيديهم منها، بعد أن ينفضّوا من حولها، ويهجروا حجرها، وينأوا عن حضنها.

إذن إنّ اللّغة العربية تواجه معوّقات داخلية، أكثر من المعوّقات الخارجية، في طريق صيرورتها وتطوّرها، أو لِنَقُل ضمان حياة طبيعة، كما تعيش اللّغات الأخرى التي تجد سندًا ودعمًا وخدمة من بنيها. هنا مكمن الخطر؛ لأنّ هذا لا يدلّ إلاّ على شيء واحدٍ, هو التّخلّي عن هذه اللّغة، وعدم الاعتراف بها مقوّمًا في البناء والتّقدّم، والارتماء في أحضان لغات أخرى دخيلة، بعيدة عن طبيعة الفكر الذي ينتمي إليه العربي المسلم، الذي ينقلب بذلك فأسًا يجتثّ شجرة أصالته من الجذور. تقول مها خير بك ناصر: "...لأنّ الخطر الحقيقي يكمن في ضمير الشّعوب العربية. وهو متجسّد في عدم الثّقة بالنّفس، وفي ضعف الانتماء الوطني أوّلاً، والقومي ثانيًا، وفي شدّة الإعجاب بكلّ دخيلٍ, ولو كان مشبوهًا؛ لأنّ الانبهار بما لدى الآخر من دون ملامسة جوهره، ومعرفة شيء من حقيقته، سَبَبٌ أساس في تشويه الفكر العربي وتخلّيه عن هويته. وهذا من الأسباب التي تقود البعض إلى حالة من الانبطاح أمام أصحاب السّلطة بأسلوب يتنافى وإنسانية الإنسان، وكرامة الفرد؛ ممّا ينذر

[18] – مجلّة اللّغة العربية، ع: 16، ص: 283.

بضياع أبسط مقوّمات الاعتزاز بالنّفس، وبخسارة الاعتزاز بالانتماء الفكري، والتّعويض عنه بانتماء نفعي إلى مجموعة لا تعترف بالقدرات، ليتحوّل إلى رقم في صناديق النّفعية." ([19])

هذه الأدواء النّفسية أكثر الأخطار على اللّغة العربية والانتماء؛ لأنّها توجد فجوة أو هوّة كبيرة في العلاقة بين اللّغة وأبنائها، فيزدادان ابتعادًا أو تباعدًا بمرور الزّمن، وينهدّ بذلك الكيان، وتفقد السّيادة. وامتلاك السّيادة الفكرية أو الثّقافية، أو الاحتفاظ بها، منطلقه امتلاك سيادة اللّغة (الأمّ) في وطنها وبين أهلها قبل كلّ شيء.

يقول صالح الخرفي: " عندما يكون العطاء الخارجي على حساب الأصالة الذّاتية تفقد اللّغة وظيفتها في بناء الذّات؛ لتتحوّل إلى معول في هدمها. ولن يكون ذلك إلاّ بانقطاع الصّلة بين اللّغة منطوقةً على طرف اللّسان، وبين اللّغة مغروسةً في العمقِ العقائدي، والبعد الحضاري، وهو انفصام رفضته اللّغة العربية في أوج سيادتها، فاستعصت بذلك على المتربّصين بها، وعانت منه في عهود الانحطاط والتّبعية، فهان أمرها على النّاطقين بها، والكائدين لها. " ([20])

يعرض جميل عيسى الملائكة همًّا آخر يصيب العربية، مصدره المتعلّمون، غير المحصّنين بلغتهم، غير العارفين لحقيقتها، الذين ينبهرون بحضارة البلدان التي يقيمون فيها، وهم في ريعان الشّباب: " غير أنّ ممّا يؤسف له أنّ نفرًا من الذين يبتعدون عن هذه البلاد ردحًا من الزّمن للدّراسة، وهم ما زالوا في نضارة الشّباب، تبهرهم حضارة البلاد التي يزورنها، ويتعلّمون لغاتها ويأخذون من علومها، في حين لم تكن تهيّأت لهم قبل ذلك فرصة إتقان العربية، وممارستها في العمل العلمي المتخصّص، وإذا بهم يعتقدون بقصور العربية عن مجاراة العلوم. وما القصور إلاّ فيهم، فما أحوج أمثال هؤلاء إلى هدايتهم بصقل معرفتهم بالعربية في دورات وحلقات دراسية مركّزة لإعادة ثقتهم بها. " ([21])

إنّ القصور في هؤلاء الطّلبة الدّارسين في البلدان الأجنبية، وليس في لغتهم الأمّ. إنّ هؤلاء هم خطر على اللّغة العربية؛ لأنّهم الطّبقة التي قد يراهم بعض النّاس حجّة فيما يقولون، إذ هم يتحدّثون عن دراية علمية متخصّصة، وتجربة واقعية مُمارسَة، وبدافع الحاجة إلى ما يعينهم على بناء صرحهم العلمي. لذا لابدّ من أخذ تصرّفاتهم بعين الاعتبار، وعدّ ما يقولون أحسن الأفكار. هذا ما قد يعتقده بسطاء النّاس، وغير الملقّحين بلقاح الأصول والقواعد الصّحيحة، فيكون ذلك وبالا ووباء على اللّغة العربية.

مع ذلك يجب البحث عن الأسباب التي أدّت بأولئك المتعلّمين إلى اتّخاذ تلك المواقف السّلبية من لغتهم الأصلية. وعلى القائمين على التّوجيه والتّربية تحمّل مسؤولية عدم توفير القواعد التي ينطلقون منها في إتقان

---

[19] – المصدر السّابق، ع: 16، ص: 304.

[20] – من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، ص: 18.

[21] – المصدر السّابق، ص: 131.

اللّغة العربية في أثناء دراستهم قبل التّخصص، بل تعليمهم اللّغة العربية العلمية، التي تخدم تخصّصاتهم. ثمّ مواصلة رعايتهم بالتّقرّب إليهم، وإحاطتهم بسياج من الحماية الفكرية والثّقافية والنّفسية، ومنع الاستلاب والتّبعية عن حياتهم العلمية.

يقول صالح الخرفي: " إنّ الاعتراف الدّولي باللّغة العربية لغة رسمية في منظّماته ومحافله محلّ عبرة واعتبار، عندما تضعف العصبية القومية عند بعض أبناء هذه اللّغة، فيطلبون بديلاً لها في لغات أجنبية. وأنّ هذا الفتور إزاء أحد المقوّمات الأساسية للذّاتية ناتج عن استلاب ثقافي وفراغ حضاري، مردّهما ضعف التّكوين الشّخصي في التّربية العربية الحديثة. الأمر الذي ينتج عنه سرعة الانبهار بالحضارة الغربية الحديثة، التي غالبًا ما تحتضن طلاّب الدّراسات العليا من أبناء العروبة والإسلام." ([22])

هناك خطر آخر يهدّد العربية في عقر دارها، ومن أبنائها المنهزمين نفسيًا، القاصرين عن فهم لغتهم واستيعاب مضمونها، وتشرّب جمالياتها وفنّياتها، والوقوف على مكانتها وقيمتها ودورها في الحياة الفكرية العالمية. هذه الهواجس وهذه الأفكار وهذه التّصرّفات سكينتهم وداخلنهم؛ نتيجة الخوف من العولمة التي غزت ديارهم وأهليهم، ومسّت قلوبهم الواجفة، وعقولهم الممسوسة...فصدّقوا ما قيل لهم، وطبّقوا ما أُملِي عليهم، ونفّذوا ما أُمروا به، فقالوا وردّدوا وروّجوا ولوّحوا أنّ اللّغة العربية عاجزة عن استيعاب العلوم المعاصرة، وغير قادرة على مواكبة تطوّرات العصر المتساوقة المتلاحقة، فنبذوا لغتهم ظهريًا، وقلبوا لها ظهر المجنّ، وسافروا وغرّبوا وشرّقوا وغرّدوا خارج سربهم، وتغنّوا بغير ألحانهم، فكانت اللّغة العربية (الأمّ) هي الضّحية، إذ أصبحت عندهم من سقط المتاع الذي لا يصلح لشيء. تقول مها خيربك ناصر: " بعث الخوف من العولمة في الذّات العربية المعاصرة شعورًا بالإحباط؛ نتيجة تنحّي المفكّر العربي عن حلبة الصّراع، وقبوله حالة التّلقّي، وتعليل عجزه باتّهام اللّغة بالقصور عن استيعاب ماهية العلوم المعاصرة، فتظهرنا العولمة بخوفنا منها عاجزين، ونبرّر عجزنا العلمي بقصور اللّغة العربية عن استيعاب العلوم، وعن أنماط الثّقافة الحضارية المعاصرة، ونجرّد اللّغة من قدرتها على تدوين المعارف، ومن سماتها التّوليدية التّخصيبية، بسبب عدم ثقتنا بانتمائنا، ونصوّرها قاصرة عن استيعاب المنتج العلمي والثّقافي والحضاري. " ([23])

هذه النّظرة إلى اللّغة العربية، وهذا الشّعور السّلبي نحوها، يدفع بهؤلاء المهزوزين في شخصيتهم إلى البحث عن وسائل للتّقدّم والتّطوّر بعيدًا عن لغتهم؛ إذ الوقوف في نقطة معيّنة، أو محطّة محدّدة، ترفضها الحياةُ، وتأباها الفطرة. فلا يجد هؤلاء إلاّ اللّغات الأجنبية ملاذًا وموئلاً لهم للخروج من حالة الجمود والهمود، فيركبون متونها وصهواتها لتنقلهم إلى عوالم فكرية غير التي تتّصل بهم، وتقيم كيانهم الحقيقي، وتحطّ بهم في محطّات، لا تتّصل إليهم بسبب. يقول الدّكتور علي الشّابي: " لقد علّمنا التّاريخ والواقع أنّ تقدّم الأمّة العربية

---

[22] – المصدر السّابق، ص: 21.

[23] – مجلّة اللّغة العربية، ع: 16، ص: 311.

بالنّظر إلى بنيتها اللّغوية والرّوحية والتّراثية هو رهين اعتمادها على لغتها التي هي حسب تعبير " Louis Massignon " عامل أساسي لنشر السّلام في العالم، وأداة مصالحة لنقل اكتشافات الفكر بين الدول ([24]). كما علّمنا تاريخنا المعاصر أنّ السّعي إلى التّقدّم باعتماد اللّغات الأجنبية، بدل اللّغة العربية، لا يعدو أن يكون ركضًا وراء السّراب، وترسيخًا لقيمة الاستهلاك والاستلاب الفكري، وتكريسًا للتّبعية الثّقافية والسّياسية والاقتصادية." ([25])

إنّ الاستمرار في هذا النّهج، بهذا التّفكير، سيعجّل بموت اللّغة العربية، وبموتها تذوب الهوية العربية والإسلامية، وتلك هي البليّة العظمى، بل الطّامّة الكبرى التي تنزل صاعقة على الأمّة الإسلامية. إذن لابدّ من أخذ هذه القضية بالجدّية الكاملة، لإنقاذ الأصالة، والإفادة من العصرنة، والمحافظة على الأصول، والتّفاعل مع الثّقافات الأخرى. تقول مها خير بك ناصر: " ستفرض العولمة انتشار اللّغة الإنكليزية، حتّى بين الطّبقات الشّعبية، ولكن الخوف ليس من انتشار هذه اللّغة بين الخاصّة والعامّة، وإنّما المشكلة تكمن في ازدراء أبناء العربية للغتهم؛ لأنّهم بذلك يعملون على موتها، وبموت اللّغة القومية تتلاشى الهوية الوطنية. فكم من شعوب انقرضت بانقراض لغتهم. ولا أبالغ إذا قلت: إنّ معظم الشّعوب اليهودية لا تتخلّى عن لغتها العبرية، التي تشكّل الجامع المشترك لهم في أصقاع الأرض جميعها. والشّعب الأرميني حافظ على خصائصه القومية باحترامه للغته القومية، واتّخاذها أداةَ تواصل فكري، ووجداني وقومي؛ لأنّ اللّغة توحّد المجموعات المتباعدة جغرافيًا، وتشعر الفرد بانتمائه الفكري والوجداني إلى بني قومه، وتعزّز الرّوابط." ([26])

هناك عمل كبير منوطٌ على القابعين في سدّات المسؤولية، مهما تكن هذه المسؤولية، وعلى القائمين على وضع خطط توجيه الأمّة، وعلى الماسكين بزمام إدارة شؤونها...على هؤلاء عبء ثقيل، وجهد جهيد في توفير ما يساعد على الحفاظ على الهوية؛ بواسطة ربط النّاس بمقوّمات شخصيتهم، وعلى رأسها اللّغة العربية، وجعلهم يتعلّقون بها، ويمارسون بها حياتهم، فتبقى حيّة، تتحرّك في الفضاءات وتتطوّر. يقول شكري فيصل: " إنّ العمل على اكتساب العربية في مواطنها وبين أبنائها هو أبرز ميادين العمل لخدمتها، واستمرارها وتحدّيها. وحين يؤمن قومٌ بلغتهم إيمانًا صادقًا علميًا، وحين يمارسونها ممارسة سليمة، فإنّ ذلك أوّل مراحل الحفاظ عليها من جهة، وتمهيد الطّريق أمام تطوّرها من جهة أخرى، تطوّرًا ينبع من ثنايا الاستعمال والتّطبيق، لا من خلال التّهويمات النّظريّة." ([27])

---

[24] – يراجع تقويم (لوي ماسينيون)، كتاب: " ماكس فانتاجو (المعجزة العربية)، تعريب " رمضان لاوند "، بيروت، 195'م، ص: 6.

[25] – الدّكتور علي الشّابي، " اللّغة العربية لغة القرآن ورسالة الإسلام "، ينظر كتاب من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، ص: 65.

[26] – مجلّة اللّغة العربية، ع: 16. عن التّحدّيات التي تواجه الثّقافة والقومية والمقوّمات والسّيادة عن طريق شبح العولمة أو غول العولمة، يراجع على سبيل المثال، كتاب العولمة والتّحدّي الثّقافي، للدّكتور باسم عليّ خريسان، نشر دار الفكر العربي، 2001م، بيروت. وكتاب عولمة السّيادة حال الأمّة العربية، للدّكتور حسن البزّاز، نشر المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، 1422هـ/ 2002م، بيروت.

[27] – من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، ص: 45.

إنّ إتقان اللّغة العربية، وممارستها في الأعمال العلمية المتخصّصة، مطلب فطري، وضـــرورة حضـــارية، لخدمتها وصيانتها وحمايتها، والارتقاء بها في ميادين التّفاعل الثّقافي. كما أنّ ردّ الاعتبار للعربية، المقوّم الأساس للشّخصية العربية الإسلامية كفيل بفتح المجال أمامها للإبداع، وردّ الاعتبار للشّخصية نفسها.

3 – إهانة المحيط للّغة العربية

البيئة التي تَدْرُجُ فيها اللّغة العربية تهينها أكبر الإهانة، فمن يعتزّ بلغته العربية يعيش فيها غريبًا، إذ يصطدم بتصرّفات غريبة وهو يتعامل مع أبناء جلدته وبني أرومته. ويُواجَهُ بأنواع من السّلوك التي يحارُ فيها العقل، ولا تقبلها الفطرة. فالشّارع لا يحسن اللّغة العربية، والإدارة لا تتقنها، والمؤسّسات الثّقافية لا تعتني بها كما ينبغي، ومراكز التّكوين لا تعلّمها كما يجب. والإعلام يقترف في حقّها جرائم لا تغتفر. والأسرة لا تولي لها اهتمامًا.

لنأخذ مثالاً على هذا التّفريط في اللّغة العربية، بل تحقيرها، تصرّفات التّجار معها. إنّ منهم من يفضّل اللّغة الأجنبية في كتابة واجهة محلّه، ولا يعترف باللّغة العربية، فهي تصغر في عينيه، وتبدو له حروفها أشكالاً ذميمة، ولا أقول قبيحة، هي لا تجذب له الزّبائن، ولا توفّر له ربحًا وفيرًا. ومنهم من يميل أو يحلو له أن يزيّن اسم متجره بكلمات أجنبية مكتوبة بحروف عربية، أو يروّج بها بضاعته، من أمثال: "سوبر ماركت"، " كايرو شوز"، "بوتيك"، "فابريكا"، " فِي بِير vie pure "...، في هذا تقع المسؤولية على الجهات المختصّة، التي تسمح بهذه التّصرّفات، وترخّص لأصحابِها بذبح الأصالة، ونحر الكرامة، والدّوس على الهوية.

بل إنّ هذه الجهات ترتكب ما يجعلها قدوة وحجّة لهؤلاء التّجار، فهي تتصرّف التّصرّف ذاته. مثلا نقرأ في بعض المدن العربية الجمل الآتية: " هاوس آند جاردن"، سانتر سيتي"، "سانتر فيل"...

بعض المشتغلين بأمور الرّياضة لا يحلو لهم إلاّ أن يتحدّثوا باللّغة الأجنبية، أو أن ينطقوا الكلمات الأجنبية بأصوات عربية. من أمثال: (قول، سْتَاد، فَاوْلْ، كُرْنَرْ، أَوْتْسَايْدْ، كَابْتَن، أُنْتِرِينُور، كُونْتْرُول، ..). وقمصان اللاّعبين تكتب باللّغات الأجنبية، وإلاّ لا تكون مقبولة ومتناسبة مع جماليات الكرة وفنّياتها. والشّعارات والإعلانات التي تملأُ الملاعب، تكون معظمها باللّغات الدّخيلة والدّائسة على الكرامة العربية. وهكذا نصطدم بهذه الأشكال من الإهانة للّغة العربية في بقية جوانب الحياة اليومية للعربي في أرضه.

هل هناك خيانة أكبر من هذا؟ هل هناك غمّ وكرب أعظم من هذا؟ إنّ هذا يكشف بوضوح وصراحة عن احتقار اللّغة العربية. ([28]) هذه الظّاهرة تنبئ عن كارثة حقيقية، وهي التّخلي عن الانتماء. حين يحصل

---

[28] –كتب الشّيخ إبراهيم أبو اليقظان مقالا، عنوانه: " اللّغة العربية غريبة في دارها "، نشره في جريدته " وادي ميزاب "، ع: 55، الصّادر يوم: 3 من نوفمبر 1927م. تناول فيه الوضعية الغريبة للّغة العربية في موطنها، ذكر المظاهر والأسباب والأخطار النّاجمة عن ذلك، ومستقبل الهوية والشّخصية القومية. للقارئ أن يتأمّل في المقال الذي كتب سنة 1927م، في ظلّ الاحتلال العسكري، وفقدان الحرّية. والحالة التي تعيشها العربية اليوم في الألفية الثّالثة, في رحمة الاستقلال واسترجاع السّيادة. ولينظر وليفكّر وليعتبر وليقدّر ما شاء له التّقدير...

هذا نترقّب فقدان الهوية، ثمّ الذّوبان والتّلاشي بعد ذلك. تقول مها خير بك ناصر: " ...ولكنّ احتقار اللّغة الأمّ ينذر بكارثة ضياعٍ، وفقدان الهوية؛ لأنّ التّخلّي عن الانتماء القومي، والتّنكّر للأصل يهدّد بخسارة الذّاكرة الثّقافية للأمّة، وغيابها عن مستويات الفاعلية الحضارية، ومن ثمّ عجز أفراد الأمّة عن مواكبة الحركات الفكرية الفاعلة على مسرح الوجود، وتكون النّتيجة فقدان الكيان الذّاتي والمعنوي للقومية العربية."([29])

4 – التّباهي بتطعيم الكلام العربي بالألفاظ الأجنبية

هذه الظّاهرة تشمل عامّة النّاس وخاصّتهم، حتّى أصبحت تقليعة، قلعت العربية من بعض عقول المغرورين والمغفّلين ومن حياتهم. وإنّك لترى الشّخص لا يحسن تلك اللّغة الأجنبية التي ينطق بها، لكنّه يقحم نفسه مع من يريد أن يكون من المتقدّمين المتطوّرين؛ فيتكلّم اللّغة الأجنبية. هذه الظّاهرة يسمّيها الدّكتور عبد القادر فضيل: (التّسيّب اللّغوي) ([30]) من مثل العبارة الآتية، التي ملأت الآفاق: (عِــيشْ la vie).

أراد أحدهم أن يخبر عن شخص داسته سيّارة فقتلته. أي أن يقول:" **داسته سيارة، فجمعناه قطعة قطعةً** " فقال: " **كْرَزتُو أتُّومُوبِيلْ أُو رَمَرْسِينَاهْ مُرْسُو مُرْسُو** ". وآخر قال:" **أنا طَالَعْ فَلْبِيسْ أُو رَايَحْ أَلْبِينَاكْ أَنْقابَلْ لَبْرُوفْ أُنْجِيبْ لَبُو**" أي أنا صاعد إلى الحافلة، في اتّجاه حيّ ابن عكنون، لأُقابلَ الأستاذ، وآتِيَ بالمنحة "

ما هذا النّشاز؟ ما هذا الدوق؟ ما هذا العقل الذي لا يميّز بين المتنافر والمنسجم من الألفاظ والعبارات؟ هل فقد النّاس الإحساس؟ هل استوى عندهم التُّرب والتِّربُ؟؟؟

وبعضهم يتحدّث صراحة ووقاحة باللّغة الأجنبية، ولا يرضى أبدًا أن ينبس بلفظة عربية؛ تكبّرًا واحتقارًا للغته (الأمّ). وأحسن هؤلاء حالاً من يعتذر لمخاطَبيهِ أن يسمحوا له، فيحدّثهم بلغة أجنبية، لأنّه لا يحسن اللّغة العربية، فيكون العذر في مستوى الجرم الذي ارتكبه في أحد مقوّمات شخصيته.

زار عالم ألماني بلدًا عربيًا في مهمّة علمية، فقصد مركزًا ثقافيًا، فطافت به موظّفة بهذا المركز، وبدأت تقدّم له شروحًا باللّغة الفرنسية، فاعتذر لها، أنّه لا يحسن هذه اللّغة، فاستغربت منه: كيف لا يحسن اللّغة الفرنسية، فقال لها: هل يفرض عليّ أن أحسن الفرنسية، وأنا الألماني، أنا أتقن الألمانية، وأعرف العربية. فالمفروض أن تشرحي لي باللّغة العربية، فأنا في بلد عربي.

هذا العالم قال لأحد الإخوة في هذا البلد: على من يقصد بلدكم أن يصطحب معه قاموسًا متعدّد اللّغات؛ لينجد به نفسه حين يخاطب فردًا منكم، فأنا لم أتبيّن اللّغة التي تتحدّثون بها، فهي خليط من الفرنسية والإنكليزية والإسبانية ولغات أخرى. كأنّه يقول: أين لغتكم القومية الرّسمية.

---

[29] – مجلّة اللّغة العربية، ع: 16، ص: 284.

[30] – ينظر كتاب اللّغة والهوية والتّعدّدية اللّسانية، ص: 83.

ما هذا التّقريع من العالم غير العربي؟ ما هذه الذّلة من الفرد العربي؟ ما هذا العار الذي نرتكبه نحو لغتنا (الأمّ)، التي أرضعتنا لبانها، وحضنتنا؟ فهي لا تطلب منّا سوى أن نرعى لها حقّها، ونبرّها بإحلالها في قلوبنا المحلّ اللاّئق، وأن نفسح لها مجالاتٍ في حياتنا.

موقف العالم الألماني يذكّرني بما قاله أحمد الرّيسوني عن بعض الدّول العربية: " لا يستطيع الملاحظ أن يستنتج أنّ اللّغة العربية هي اللّغة (الرّسمية) للبلد. فاللّغات الأجنبية تواصل اكتساحها واحتلالها لموقع السّيادة والرّيادة على الخريطة العربية، في مجالات التّعليم والإعلام والإدارات والمعاملات الحكومية، والمرافق الاقتصادية والتّجارية والخدماتية. وهي لذلك معزّزة بجهود ومخطّطات ومؤسّسات وتمويلات. وهكذا تستولي اللّغة الإنكليزية على المشرق العربي، وتستولي اللّغة الفرنسية على المغرب العربي." ([31])

إنّ هذا السّلوك ليس حضاريًا، ولا مسئولا، بل فيه تجنٍّ واعتداءٌ على الحقوق؛ إذ فيه حرمان اللّغة العربية من مكانتها بين اللّغات الفاعلة في العالم، وإقصاؤها من مكانها في المحافل الدّولية.يقول أحمد الرّيسوني: " لقد أصبح الكثيرون من النّخب العربية، ومن المسئولين العرب يجيدون ويمجّدون اللّغات الأجنبية، أكثر بكثير ممّا يفعلونه مع لغتهم، حتّى إنّ بعض المنظّمات التّابعة للأمم المتّحدة قد بدأت تتداول قرار حذف اللّغة العربية من اللّغات الرّسمية المعتمدة لديها، وذلك لسببين:

الأوّل: هو أنّ ممثّلي العربية أنفسهم لا يستعملون لغتهم العربية داخل هذه المنظّمات؛ حرصًا منهم على إظهار معرفتهم باللّغة الأجنبية.

الثّاني: هو أنّ الدّول العربية غير ملتزمة بتعهّداتها المالية والبشرية, في دعم متطلّبات استعمال العربية في أجهزة الأمم المتّحدة وفروعها.

على أنّ التّفريط الرّسمي العربي في اللّغة القومية الرّسمية، على صعيد الأمم المتّحدة، وعلى الصّعيد الدّولي بصفة عامّة، ليس إلاّ فرعًا ونتيجة للتّفريط الأصلي على الصّعيد الدّاخلي..." ([32])

أين الوفاء بالعهود والمواثيق؟ أين الالتزام بشروط التّمثيل؟ أين المسؤولية في تقديم الوجه الحقيقي للأمّة؟ فَدَاؤُنا منّا، وكان الواجب أن نكون فِدَاءً لِلغتنا. إنّ ضررنا يأتينا من داخلنا، ومصيبتنا تلحقنا من ساحلنا. هل يصدق على لغتنا وعلينا قول الشّاعر:

ما حيلة الرّيح، إذا من داخـــــل هبّت، وسفن أوتيت من ساحـــــلِ

ليتذكّر أولئك أنّ الهوية والكيان والوجود هي اللّغة. ومسايرة الحركات الفكرية الفاعلة في العالم، تكون بلغة (الأمّ) الأصيلة القويّة. والذّاكرة الثّقافية التي تواكب الفاعلية الحضارة مردّها إلى اللّغة...فلنعِ تلك الخسارة

---

[31] – مجلّة إسلامية المعرفة، ع: 49، ص: 8.

[32] – المصدر السّابق، ص: 9.

الكبيرة المهلكة التي تلحق بالأمّة، حين تكون اللّغة العربية في الدّرك الأسفل من الاهتمام، وقد ينعدم الاهتمام أصلاً، أو يكون اهتمامًا فاقدًا للهمّة والحماسة، والإرادة التي توفّر الأجواء المساعدة على تعلّمها وإتقانها؛ بما يرتقي بها إلى مكانتها، وإلى ما يرفع التّحدّي.

كما نبيّن لهؤلاء المتنطّعين، والغافلين أو المغفّلين، أنّ المبالغة في تطعيم اللّغة العربية بالألفاظ الأجنبية الغريبة عن الأذن، يمسخها ويشوّهها، ويسلخها من أصالتها، ويصمها بالعجمة، التي تنفُرُ منها الأذواق السّليمة، والنّفوس الكريمة، فضلا عن كون ذلك يعدّ من أبرز مظاهر التّبعية الثّقافية، والتّسيّب الفكري.

للاستعمار دور كبير في مناهضة الثّقافة الإسلامية بالتّشجيع على تبنّي هذه الفكرة، وتطبيق هذه الخطّة، وسلوك أيّ سبيل للنّيل من الثّقافة العربية: " قال " بينو " الوزير السّابق في الحكومة الفرنسية: لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية، وعليها أن تعوّضها بإمبراطورية ثقافية. فالمدخل الحقيقي إلى الاستعمار الجديد هو الهيمنة اللّغوية والثّقافية " ([33])

5 – إهانة اللّغة العربية في ميادين التّدريس ([34])

مظاهر هذا التّقصير أو الإهانة كثيرة، منها:

أ – عدم إعطائها القدر الكافي أو المناسب: في مناهج التّعليم بمختلف مراحله: وضعَ مناهج، وشموليةَ فروعها، والحجمَ السّاعي المناسب، وإعدادَ الوسائل الكفيلة بتدريسها، وتنفيذ المنهجية السّليمة، التي تساير التّطوّر والتّجديد.

ب – عدم التّقيّد بالتّدريس باللّغة العربية الخالصة، فالمدرّسون في مختلف المراحل يخلطون اللّغة العربية بالعامية واللّغات الأجنبية. ممّا يؤثّر سلبًا على العربية نفسها والمتلقّين معًا.

ج – سلب اللّغة العربية حقّ تلقين العلوم بها – بخاصّة في الجامعة – وتفضيل اللّغات الأجنبية عليها؛ اقتناعًا من المخطّطين والمدرّسين بأنّ الجدوى والنّتائج الجيّدة لا تكون إلاّ باللّغة الأجنبية، التي تضمن إعداد شباب مثقّف متكوّن أحسن تكّوّن، وبهم تتقدّم البلدان العربية. منطوق تصرّفهم يشي بأنّ العربية قاصرة عن هذا الدّور. مع أنّ العلماء يؤكّدون أنّ التّقدّم الحقيقي لا يكون إلاّ باللّغة (الأمّ).

يقول أحمد الرّيسوني: " كما أنّ (اللّغة الأمّ) تشكّل وسيلة لا بديل عنها لأيّ إبداعٍ، أدبي أو علمي، مستقلّ ومتميّز. ودونها لا تكون إلاّ التّبعية والذّيلية والهامشية. فليس هناك أمّة أبدعت وتميّزت: حضاريًا أو علميًا أو أدبيًا، بغير لغتها القومية الرّاسخة فيها. وها هي التّجربة اليابانية على – سبيل المثال – حيّة وقريبة؛ إذ

---

[33] – من قضايا اللّغة العربية، ص: 23، 24.

[34] – عن مظاهر وضع اللّغة العربية المتدنّي المتردّي في المدارس والجامعات الجزائرية، ينظر ما سجّله الدّكتور عبد القادر فضيل، كتاب: اللّغة والهوية والتّعدّدية اللّسانية، ص: 83.

كان الاعتماد الأساسي والكبير للنّهضة اليابانية على اللّغة القومية، وليس على اللّغة الإنكليزية، كما يظنّ الكثيرون. وإلى الآن فإنّ الشّعب الياباني يُعدُّ متأخّرًا في سلّم المعرفة باللّغة الإنكليزية، ضمن شعوب العالم. فقد جاء اليابانيون في المرتبة الثّامنة عشرة في امتحانات خاصّة، أُجريت على الصّعيد الآسيوي. ولو كان الامتحان على الصّعيد العالمي لتدحرج ترتيبهم إلى الوراء أكثر، ولسبقهم كثير من العرب." ([35])

هذه الملاحظة، وهذه الحقيقية تُسرّ وتهمس في أبناء اللّغة العربية إلى الحرص على إقحامها:" مجالات العمل، تَمكينها من ممارسة دورها الحضاري في ميادين الحياة المختلفة، وبدفعها لخوض معركة الإنتاج المعرفي والإبداع الحضاري. مثلها مثل اللّغات الأجنبية، التي لا يتردّد أهلها في جعلها أداة السّيادة في وطنها، والتي بها يدخلون عالم المعرفة." ([36])

يضيف محمد سويسي:إنّ لسان حال اللّغة العربية يقول: " (أعطوني العلماء أعبّر لكم عمّا لم تنطق به الألسن من قبل). وفي المعنى يقول ريفارول: (ما كانت قطّ اللّغة الثّرية لتكون لغة شعبٍ جاهل معوز. " ([37]) واللّغة العربية أثبت عبر تاريخها أنّها لغة ثرية، تتوفّر على إمكانات هائلة للإبداع وإنتاج المعرفة، وقد فعلت. لذا فتنبيه الدّكتور محمد سويسي ينعى على أبناء العربية أن يجرّوا الأميّة والجهل للغتهم؛ بكسلهم وتخاذلهم وخمودهم. فالعربية لست كذلك ولن تكون. يقول الدّكتور محمد علي بوغازي: " لقد أثبتت اللّغة العربية قدرة فائقة على حمل أرقى المعارف العلمية والتّكنولوجية.

والواقع إنّ اللّغة العربية هي من ثراء المبنى وغنى الإمكانات، بحيث تقدّم هي ذاتها فرصًا نادرة لولوج عصر المعلوماتية، وكثافة المعرفة باقتدار. " ([38])

في هذا السّياق يؤرّقني قول الدّكتور تمام حسان، وهو يوجّه عتابه المرّ، وتقريعه اللاّذع إلى المقصّرين في حق اللّغة العربية، ولا يجد آذانًا مصغية، ولا قلوبًا واعية. فيستمرّ الحال على ما هو عليه في سحب الثّقة في اللّغة العربية، بل يزداد سوءًا؛ حين يتغلغل هذا الإحساس في الأجيال المتعاقبة، وترسخ عقيدة فيهم: ألاّ مكان للّغة العربية في ميادين العلوم، ولا معوّل عليها في كسب المعرفة. يقول الأستاذ: "...فما عذر جامعاتنا التي ما تزال تصرّ على تعليم العلوم الطّبيعية والرّياضية بلغات الغرب؟ إنّ هذا الموقف من جامعاتنا يكشف عن اتّهامٍ

---

[35] – مجلّة إسلامية المعرفة، ع: 49، ص: 7.

[36] – اللّغة والهوية والتّعدّدية اللّسانية، ص: 82.

[37] – من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، ص: 144.

[38] – توطين المعرفة العلمية والتّكنولوجية وأهمية نشرها بالعربية، ص: 22.

للّغة العربية بالقصور عن الوفاء بمطالب العلم الحديث. وهو اتّهام ظالم من قوم أولى بهم أن يتّهموا أنفسهم بالعجز عن ترجمة علومهم؛ لقصور منهم عن إتقان لغتهم القومية، وعن القدرة على الانتفاع بمرونتها..." ([39])

د – نقص فادح في نشر المعرفة باللّغة العربية تأليفًا وترجمةً. وعدم توفير مراجع باللّغة العربية للكتابة بها.

هـ – ضعف في التّرجمة إلى اللّغة العربية، وبخاصّة العلوم المعاصرة. يتجلّى ذلك في ترجمة الغثّ والسّمين من الموضوعات, من دون دراسة دقيقة، وخطّة محكمة, ويبرز أيضًا في ركاكة الأسلوب، وتعقيد المعنى، وافتقاد الرّوح الدّينية والوطنية في بعض الأحيان في المحتوى اللّغوي؛ نتيجة ضعف في اللّغة العربية، وهشاشة في التّشبّع بالدّين...كلّ هذا يعود على العربية بالويل والثّبور.

6 – حرمان النّاشئة من سماع اللّغة العربية في أوساطهم

النّاشئة لا تسمع اللّغة العربية كثيرًا في الأوساط التي تتحرّك فيها وتعيش وتدرج: في المنزل والشّارع والنّادي، والإدارة والملعب والمكتب.. في الاجتماعات واللّقاءات والمحاورات والمكالمات...ومن سَمعها سَمَعها مشوّهة محرّفة، ومن يلقّنها لا يتحمّس لها. ومنهم من يتناقض مع نفسه معها، مرّة يتحدّث بها، ويحثّ على ذلك، ومرّات ينطق بما يخالف دعوته. مع العلم أنّ تعليم أيّة لغة، إنّما يتمُّ بمهارات أربع: أوّلها الاستماع، ثمّ القراءة فالمحادثة فالكتابة. فإذا كان النّشء وغيره لا يسمع اللّغة العربية، أو يلتقطها محرّفة، وتقرع آذانه الكلمات الأجنبية بكثرة، فإنّ النّتيجة يكون الوهن الحاصل في موطنها وأوطانها.

7 – صمت المثقّف عمّا يحدث للّغة العربية

ممّا تعاني منه اللّغة العربية عدم تحمّل المثقّف العربي مسؤوليتَه في حماية لغته من الانحدار والانكسار والاندحار، والتّدنّي والتّردّي والتّجنّي. وهو ما أنتج نتائج وخيمة على اللّغة أوّلا، ثمّ على الأمّة التي تنتمي إليها ثانيًا. هذه السّلبية لا تفسّر إلاّ بالتّخلّي عن الواجب، أو الانهزامية والاستسلام للقوّات الضّاغطة على النّفوس؛ كي تبتعد عن ميادين القراع والصّراع، ولا تُقرَأُ إلاّ على أنّها ضربٌ من اليأس في استرجاع اللّغة (الأمّ) مكانتها ودورها في خضمّ صيرورة الحياة، وتطوّر الأحداث، وتفاعل الثّقافات...

يقول الدّكتور عبد السّلام المسدّي: " اللّغة العربية بما هي حامل للهوية الثّقافية، وضامن لصيرورة الذّات الحضارية، لا يتهدّدها شيء مثلما يتهدّدها صمت المثقّف، وهو ينظر إلى الزّحفِ اللّهجي يكتسح مجالاتها الحيوية، ولا سيما في الإبداع الثّقافي، وفي الحديث عن كلّ شأنٍ ثقافي، مهما تقلّصت أبعاده، أو انكمشت أحجامه، أو ضؤلت أوزانه، وليس من حقّ العرب في أن يواجهوا مخاطر الكونية الزّاحفة المستشرية إلاّ بجبهة

[39] – الدّكتور تمام حسان، " اللّغة العربية والشّعوب الإسلامية "، ينظر كتاب من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، ص: 78. عن مظاهر وضع اللّغة العربية في الجزائر، ينظر ما كتبه الدّكتور عبد القادر فضيل، كتاب اللّغة والهوية والتّعدّدية اللّسانية، ص: 69 – 86.

داخلية متينة، تستمدّ قوّتها من التّماسك اللّغوي المطّرد في أنساقه، والمنسجم بين أطرافه. فالثّقافة معرفة وفنّ. والعرب الآن يفصّحون المعرفة ما وسعهم الإفصاحُ، ولكنّهم يلهّجون الفنّ، إلاّ من رجم ربّنا، وفي هذا يكمن نذير الانفصام." ([40])

إنّ الممارسات السّيّئة مع اللّغة العربية مضرّة بها، والسّكوت عنها أشدّ ضررًا، بخاصّة إذا صدر هذا ممّن يفترض أن يكونوا سدنتها وحماتها، وهم المثّقفون، الذين حباهم الله وأكرمهم بنعمة الثّقافة والعلم والوعي؛ لكي يسخّروه في خدمة من هو بحاجة إلى خدماتهم. إنّهم مطالبون بالنّهوض بأعبائهم – أكثر – حين تمسّ المقوّمات، وتداس الحرمات، وتنتهك المقدّساتُ، كاللّغة العربية التي هي الحياة بالنّسبة للمنتمين إليها.

إنّ اللّغة العربية تشكو هؤلاء إلى الضّمير الحيّ، والمروءة المتيقّظة، والشّهامة المتّقدة. يقول حماية اللّغة العربية: " ...فهم أولى النّاس بالمبادرة بوضع الحدود للهوية اللّغوية، التي الدّكتور صالح بلعيد وهو يتحدّث عن المثقّفين بعامّة والإعلاميين بخاصّة وواجبهم في يتهدّدها وضع لغوي خطيرٌ، وإن وقع تحجيم هذا الأمر قد يؤدّي إلى فراغ ثقافي ولغوي يوصلاننا إلى حالات وهمية لا مرجع لها، ويفتح الباب لانفصال لغوي جديد. " ([41])

8 – الاستعمال المشوّه والغريب للّغة العربية

من المشاكل التي تعاني منها اللّغة العربية الاستعمال المشوّه لها، وارتكاب الأخطاء الكثيرة في حقّها، أخطاء في النّطق بها، في كتابتها، في إقحام صيغ ليست لها أيّة صلة بها، بل أحيانًا تظهرها ممجوجة، مذمومة، مملولة، ناشزًا...تنفّرها من أذواق أصحاب الحسّ الجمالي، ويجعلها سخرية عند الكائدين لها.

ما دامت قبلة كثير منّا هي فرنسا، فليسألوا أنفسهم: هل يمكن أن يتسامح الفرنسي مع من يهشّم لغته، أو يستهزئ بها.. يقول صالح بلعيد: "...ولن يرضى الفرنسي أن يسمع مستهزئًا بلغته، يظهر في الشّاشة، أو يكتب في الصّحف الفرنسية، مهما كانت درجته العلمية أو السّياسية. وقد حصل هذا قديمًا عند العرب، بأنّ اللاّحنَ في اللّغة العربية يستبعدُ إلى بلاد العجم. وهناك من يجري عليه العقابُ شديدًا. وهذا كلّه من باب التّحرّز الذي كان يضعه النّحاةُ للّغة العربية، ويتمثّل ذلك في المحافظة على صفائها، إلى درجة المغالاة." ([42])

---

[40] – الدّكتور صالح بلعيد، " اللّغة العربية والصّحافة"، مجلّة اللّغة العربية، ع: 16، ص: 142.

[41] – المصدر السّابق نفسه.

[42] – مجلّة اللّغة العربية، ': 16، ص: 160.

9 – الانهزام النّفسي وسحب الثّقة في اللّغة العربية

تضافرت عوامل كثيرة ([43]) في زرع داء الانهزام النّفسي في قلوب أبناء اللّغة العربية، فراحوا يبعدونها من حياتهم ومعاملاتهم، ومن تفكيرهم ومشروعاتهم، التي يضعونها للرّفع من مستوياتهم وأقدارهم، حتّى يوجدوا لهم مكانًا مع الأقوياء – حسب زعمهم – فلم يقووا على صدّ الهجمات التي توجّه نحو لغتهم (الأمّ)، و لم يفعلوا ما يفرض حضورها في الحياة العامّة، و لم ينهضوا ليثبتوا أصالتها وقدرتها على ريادة المجالات العلمية والتّكنولوجية، والتّحكّم في ميادين المعرفة. ونسوا تاريخ اللّغة العربية الحافل بعظائم المنجزات؛ حين كان أبناؤها أبطالاً وفرسانًا في تخصّصاتهم العلمية، يطوّرون بها المعارف والعلوم، ويطوّعون العالم لهم. كما أنّ هذا الانهزام أنساهم أحقاد الأعداء على لغتهم، والعمل على طمسها ([44]). كما أدّى بهم ذلك إلى الاستكانة والكسل والخمول والخمود، وعدم الاجتهاد في تطوير لغتهم، فركنوا إلى الاستعانة بالخبرات الأجنبية، واتّجهوا إل التّرجمة وحدها في كسب العلوم، وتطوير أدائهم المعرفي. علمًا أنّ الاعتماد على التّرجمة كثيرًا ما يفقد النّشء الثّقة في لغتهم.

10 – مزاحمة اللّهجات المحلية للّغة العربية

من الأدواء الفتّاكة بالهوية الإسلامية، والقاتلة لمقوّمات الشّخصية العربية، مزاحمة اللّهجات المحليّة للّغة العربية، بخاصّة حين يكون شعار من يشّجع على هذا النّهج هو إحياء اللّغة الوطنية، واللّغة الرّسمية، والمحافظة على الهوية...هنا تصبح هذه الدّعوات معيقات حقيقية لتطوّر اللّغة العربية، بل تكون خطرًا على وجودها، ففي أهون الشّرور هزالها وضعفها، وفقدان قوّتها، وقوّة التّأثير فيمن يحسبون في أبنائها. ويكون نتيجة ذلك فقدان الحماسة نحوها، وقد يتطوّر الأمر إلى نصب العداء لها، وتركها نهائيًا... ولأن كان هذا السّلوك قد صاحب اللّغة العربية منذ القديم، لكنّه في الوقت الحاضر استشرى، وارتدى ألبسة واتّخذ أقنعة، لها سموم مبيدة للّغة العربية أكثر:"...وصولاً إلى العصر الحاضر، حيث استفحل الدّاءُ وعمّ البلاءُ، وأصبح الموتورون من العروبة والعرب ولغتهم يجاهرون بتكريس اللّهجات الإقليمية الانفصالية على حساب اللّغة العربية الفصحى، خزّان علوم العرب وآدابهم وتراثهم المشرق، العروة الوثقى بين العروبة والإسلام." ([45])

يقول أحمد الرّيسوني: " ...انبعثت بعد فشلٍ قديم دعواتٌ متحمّسة ومبادرات فعلية، لمحاولة ترسيم اللّهجات العامية واتّخاذها بدائل عن الفصحى. وهكذا ظهرت في المغرب العربي على سبيل المثال صحف

---

[43] – من هذه العوامل سياسة الاستعمار معها ومع أبناء اللّغة العربية، وهجوم الصّهيونية على كلّ ما هو عربي أو إسلامي، وضعف الحماسة لها مِنْ بعض مَنْ ينتسبون إليها، وعدم اهتمام القائمين على التّكوين والإعداد والبناء بواجبهم الكامل في تلقين اللّغة العربية للنّاشئة بخاصّة...

[44] – ينظر ماكتبه الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي في الموضوع، عيون البصائر، ط2، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2003م، ص: 221 – 223.

[45] – ماجد الصّائغ، الأخطاء الشّائعة وأثرها في تطوّر اللّغة العربية، ص: 5.

وإذاعات وقنوات مكتوبة وناطقة بالعامية. ولحسن الحظّ فإنّ أصحابها يشتكون من إعراض الجمهور عنهم واستهجانه لعملهم. ذلك أنّ عامّة النّاس، بمن فيهم الأميّون وأشباه الأميّين يفضّلون لغة فصيحة ميسّرة، على العامية المغرقة في محلّيتها وخصوصيتها وقلّة جدواها، فهم يريدون خطابًا يرتقي بهم، لا خطابًا يحطّ بهم. " ([46])

عادة ما تصحب هذه الدّعوات مشروعات تنال من اللّغة العربية، ويتمّ ذلك بالتّنسيق مع الجهات التي تكنّ عداء للّغة العربية. وغالبًا ما تقصد الفئات الشّبانية التي لا تكون محصّنة بالثّوابت والمقوّمات الحقيقية لشخصيتها. من أسلحة هؤلاء تقديم معلومات خاطئة، عن تاريخية هذه اللّغة ودخولها إلى أوطانها، وكثيرًا ما توصف بأنّها جاءت مستعمرة ومزحزحة للّهجات التي كانت سائدة قبل مجيئها. ومنها تزويد المغرّر بهم بمعلومات مشوّهة لطبيعة اللّغة العربية، وهي عدم صلاحيتها لمواكبة التّطوّر والتّقدّم، بل هي من أسباب تأخّر الشّعوب التي تتمسّك بها...إلى غير ذلك من الادّعاءات الباطلة الغادرة، والهجمات السّافرة، التي تسبّب مشاكل للّغة العربية كثيرة.

11 – غياب سياسة حقيقية ورغبة جدّية لتقوية اللّغة العربية

غياب التّخطيط المدروس لمستقبل اللّغة العربية على مستوى الحكومات والهيئات والأفراد، أثّر كثيرًا على مردود اللّغة العربية في العطاء، وسبّب جحود أبنائها لها.

إنّ اللّغة العربية تشكو عدم وجود مشروعات جادّة ومحكمة، للقيام على شؤونها: تعليمًا، وتطويرًا، وصيانة وحماية، ونشرًا، ومدافعة الأخطار المحدقة بها، والمخطّطات الكائدة لها. فالمسئولون لا يقومون بما ينبئ عن اهتمامهم الجدّي والكبير والمسئول عن اللّغة (الأمّ) الحاملة للفكر، والحامية للهوية والحانية على أبنائها. والهيئات والمؤسّسات التي تعنى بجانب التّخطيط لخدمة اللّغة العربية قليلة جدًّا، وبعضها الذي ينشط تنقصه الإمكانات، وقد ينحسر مجال نشاطها: زمنًا ومكانًا وبشرًا: أفرادًا يعملون وآخرون يُخاطَبون ويوجَّهون. وقليل من الباحثين من يعمل على تطوير اللّغة وتطويعها لمسايرة التّجدّد والتّغيّر؛ لظروف وعوامل قد تكون موضوعية، وقد تكون أعذارًا غير مقبولة.

إذن هناك تقصير كبير في حقّ اللّغة العربية، وربّما تَجَنٍّ سافرٌ نحوها في زاوية التّخطيط والبرمجة والإستراتيجية. وهو ممّا تعانيه أشدّ المعاناة، فلابدّ من الانتباه لهذا، والإفاقة من الغفلة، والاستيقاظ من الغفوة، والتّخلّي عن الجحود والتّنصّل من المسؤولية، لابدّ من صحوة ووثبة عملاقة نحو الأمام. يقول أحمد الرّيسوني: " إنّ المسألة اللّغوية عمومًا، ومسألة اللّغة العربية تحديدًا، تستدعي وتستحقّ جهودًا أكبر بكثير ممّا تأخذه الآن. ولا أُراني مبالغًا إذا قلت: إنّ قضية اللّغة العربية تحتاج إلى صحوة وحركة، على غرار الحركة الإسلامية

[46] – إسلامية المعرفة، ع: 49، ص: 9.

والصّحوة الإسلامية. فهل نطمح إلى أن نشهد انتفاضة لغوية عربية، تبشّر بمستقبل قريب للّغة العربية في عصر العولمة.

...إنّ قضية اللّغة العربية يجب أن ترفع إلى مرتبة القضايا الكبرى للأمّة، قضايا الوجود، والسّياسة والتّخطيط (الاستراتيجي) للحاضر والمستقبل. ويجب أن تعدَّ قضية حكومات وشعوب، لا قضية مهتمّين ومتخصّصين. نحن نرى أنّ مجامع اللّغة العربية، على جهودها وعطاءاتها الجليلة، تجد نفسها مشلولة أمام الواقع المتدهور لهذه اللّغة، ذلك أنّها دون أنصار، ودون تجاوبٍ رسمي، ولا سند شعبي، ولا يكاد يعلم بقضيتها أحد." ([47])

12 – تعجيم اللّغة العربية

بعض الدّول العربية تقيم فيها أعداد هائلة من الوافدين والمقيمين غير العرب، يتوزّعون على مختلف ميادين العمل. وبعض المراكز يمثّلون فيها الأغلبية، هؤلاء لا يحسنون اللّغة العربية، فيضطرّون إلى التّحدّث بها، لكنّها تكون مكسّرة، مهشّمة، ممسوخة، والأهالي يتعاملون معهم بتلك الطّريقة. وقد تمكّن هؤلاء الوافدون أن يدخلوا في قاموس لغة السّكان العرب الأصليين مفردات ، لا أصل لها ولا فصل، ولا مبنى لها ولا معنى واضح، فتزحزحت بعض الألفاظ العربية عن يوميات العربي، لتحتلّ مكانها ألفاظ أعجمية غريبة، تبعث على الضّحك والبكاء في آن واحد.

حصل هذا نتيجة تنازل العربي عن لغته؛ لمصالح يريد أن يقضيها مع هذا الأعجمي الوافد على بلده، والذي ملأ حياته، واحتلّ مكانه في النّشاط. بدل أن يغتنم العربي الفرصة ليعلّمه اللّغة العربية، ويكون بذلك قد أسهم في نشرها في الأوساط غير العربية. ليكون هذا رسولَ العربية إلى أهله ووطنه. كما يكون – دائمًا – العربي رسول اللّغة الأجنبية إلى بلده، بعد أن يتشبّع باللّغة التي كان يتحدّث بها في البلد الذي يقيم فيه، ويتشرّبها أحسن ما يكون التّشرّب، فَيَنْقُلَ إلى عقر داره فكر هذه اللّغة، ويضربَ به فكره الحقيقي، بعد أن يضرب بلغته (الأمّ) عرض الحائط.

هذا الأعجمي لو عاش أو أقام في بلد غير عربي، مَا تعامل مع أهله إلاّ بلغتهم، بل قد يتقنها، ولا يمكن له أن يتحدّث معهم بلغته (الأمّ)، أو يهجّن لغتهم. لماذا يكون العربي دائمًا هو المستهدف، وهو المهجّن، من القويّ والضّعيف؟؟ هذه مصيبة أخرى تتعرّض لها اللّغة العربية، ومعول آخر تحطّم بها، ومسمار آخر يضرب في نعشها. ([48])

---

[47] – مجلّة إسلامية المعرفة، ع: 49، ص: 10، 11. ينظرً : 11، 12 المقترحات التي قدّمها الأستاذ أحمد الرّيسوني لتحريك القضيّة.

[48]– ينظر المصدر السّابق، ص: 9. ما كتبه أحمد الرّيسوني في الموضوع.

14 – تقلّص فرص الشّغل في أسواق العمل العربية للمتكوّنين باللّغة العربية.

هذا عائق كبير للإقبال على اللّغة العربية، وحاجز سميك يمنع أبناءها من التّقرّب إليها، ما دامت النّفوس تتحكّم فيها الأغراض الدّنيوية، وتسيّرها المصالح الخاصّة. على المخطّطين وأصحاب القرار, وعلى القيادات أن تراعي هذا الجانب، فتضع من ضمن اهتماماتها ومسؤولياتها، توفير فرص العمل للمتكوّنين باللّغة العربية. وإلاّ فقدت العربية كلَّ حقبة أعدادًا كبيرة، تفرّ إلى لغات أخرى. والأخطر من هذا أن يكون هناك سوء تدبير أو تخطيط، أو...حين يهيّأ منهاج، فيه مواد يدرسها الطّالب في مراحل ما قبل الجامعة باللّغة العربية، فإذا ما تخطّى عتبة الثّانوية العامّة، أو عقبة الباكالوريا، وفرح بولوج أبواب الجامعة، ركبه همّ، وتملّكته حسرة، حين يقال له: عليك أن تكمل مشوارك العلمي باللّغة الأجنبية؛ لأن تخصّصك منصوص عليه ومحكوم أن يدرس باللّغة الأجنبية. فينعى المسكين، ويلعن السّنوات التي كان يضيّع فيها أوقاته مع اللّغة العربية، التي تسبّب له شقاءً وبلاء وضياعًا. فما عليه إلاّ أن يقدّم نصيحة غالية لإخوانه: أن لا يهتموا بهذه اللّغة الميّتة، ويصرفوا عنها اهتمامهم، وينصرفوا إلى اللّغات الحيّة الضّامنة لسوق العمل.

15 - خطر الفضائيات

الإدمان على تتبّع الفضائيات، ومتابعة ما تبثّه من دون فرز واختيار الأنسب لفطرة الإنسان، ومن دون الاقتصاد في ذلك، وتقبّل كلّ ما تقدّمه، بأيّ مضمون كان، أو أسلوب يُعرض خطأٌ وخطلٌ وخطرٌ. يفسد النّفوس، ويخرّب العقول، ويصيب القلوب. فإذا ما قدّم بلغة فاسدة، أو مشوّهة ممسوحة، كان الخطر أكبر؛ لأنّ ذلك يؤثّر على الفكر والمعتقد والوعي والعلاقة مع اللّغة (الأمّ).

إنّ كثيرًا من الذين يظهرون على شاشاتنا العربية يرتكبون جنايات كبيرة في حقّ اللّغة العربية، يستحقّون عليها أقسى العقوبات، تغريمًا أو تعزيزا أو نفيًا أو سجنًا ، وربّما قتلا. لأنّ سلوكهم يصيب الأمّة الإسلامية والعربية في المقاتل، فيرديها صريعة، والقاتل يقتل.

برامج باللّغة العربية المحطّمة المشوّهة تقدّم، وأخرى تململ سيبويه في قبره تعرض، وغيرها بلهجات محليّة مطعّمة بلغة عربية محتشمة تبثّ، وبرامج تمزج فيها اللّغة العربية باللّغات الأجنبية، يُستنجَد بها للتّعبير عن المقصود؛ لأنّ المتكلّم لا يحسن اللّغة العربية، أو قد يظنّ أنّ المشاهد لا يفهم الخطاب الموجّه إليه باللّفظة العربية الفصيحة السّليمة...

مهما تكن المظاهر، ومهما تكن التّصرّفات، ومهما تكن النّوايا، فإنّ النّتيجة واحدة هي المساس باللّغة العربية، والنّيل من قدرها ومكانتها. يقول الدّكتور صالح بلعيد: " وأعتبر ما يأتي من هذه المحطّات المخلّة بالوجه اللّغوي الصّحيح لدرجة الفساد، من المنتج الرّخيص السّهل المنال؛ لأنّ هذه المحطّات تترع إلى إرضاء

جمهورها، وتنزل إلى مستواهم البسيط، وتخاطبهم بما يريدون، ولا تحاول أن تعمل على ترقية لغتهم بدعوى الإثارة والدّعاية والتّشهير والتّمنشير، ويستدعي هذا النّوع من التّكسير اللّغوي ما يستدعي. بل هي طريقة جديدة في الحداثة والعمق؛ بحكم السّرعة. وفي نظرهم من يقف في وجه هؤلاء فهو رجعي سلفي أصولي، لا يريد للّغة التّطوّر. وعلى العموم فإنّ بضاعة أمثال هذه القنوات نافقة هشّة، لا تذهب بعيدًا." ([49])

16 – أخطاء الإعلام وجناياته

كم هي الأخطاء الكبيرة والجنايات العظيمة، التي يرتكبها الإعلام في حقّ اللّغة العربية، والتي تركت آثارها السّلبية على حقيقة هذه اللّغة، وحاضرها ومستقبلها. فمن كسر قواعدها، والانحراف بإعرابها، إلى تهشيم بنية كلماتها، أي عدم التّقيّد بقواعد الصّرف في النّطق والكتابة بها؛ لجهل وأميّة في هذه القواعد، إلى اختراع صيغ وأوزان ما أنزل الله بها من سلطان، واختراق السّنن العربي، إلى تهجين أساليب اللّغة بأساليب دخيلة عليها وعلى البيان العربي. بمعنى استفحل داء تأثّر الإعلاميين (والكتّاب) بأساليب اللّغات الأجنبية، فأكثروا من الاقتباس والتّرجمة للمفردات والأساليب والصّيغ، من دون ضابط ولا أصول ولا مراعاة لخصوصية اللّغة العربية, وما يجني عليها.

هذه المظاهر الجديدة في اللّغة الصحفية التي تزاحم المناول الصّحيحة لها، هي منكرات تقترف في حقّ اللّغة، التي يراد لها أن تهجر أصولها ومنابعها لتسير في غير دربها؛ ريثما تلتحق بصفّ الموءودين والهالكين إلى غير رجعة، وبذلك تتعرّض الهوية والأصالة للخطر، ما دامت هذه اللّغة هي وعاء القرآن، وضامن الهوية، وحامل الفكر، وحامي الشّخصية...فعدم احتفاظها بخصائصها ومميّزاتها يدفع بها إلى حافة القبر. ([50])

هذه بعض المشاكل التي تعاني منها اللّغة العربية، والمعيقات التي تعيقها عن السّير الحسن، وعن التّحرّك المطّرد، وعن استثمار طاقاتها ومخزونها الثّرّ في خدمة الفكر العالمي، وفي تطوير الحياة، والإسهام في النّهضات المختلفة. هذه المشاكل تأتيها من داخل الدّار، ومن خارج الحمى. من هنا نعرض على أنفسنا – كما فعل كثير من المهتمّين بشؤون اللّغة العربية – الأسئلة الآتية: 1 – ممّن ننقذ اللّغة العربية في الوقت الرّاهن؟ 2 – من الجاني عليها في هذا العصر بخاصّة؟ 3 – هل تموت هذه اللّغة، وتتلاشى الهوية التي تحملها؟ 4- ما هو السّبيل إلى الخروج بها من الأنفاق المظلمة، إلى الفضاءات المضيئة، والرّجوع بها إلى سالف عهدها المزدهر المنتج المثمر؟

كثير من المشاكل التي تعاني منها اللّغة العربية في عقر دارها، كان للاستعمار دور كبير فيها، إلى جانب قابلية أبناء هذه اللّغة في استقبالها، أو تقبّلها طوعًا أو كرهًا. يعلّق الأستاذ محمد عبد السّلام آزادي عن مفاجأة الاستعمار للصّحوة التي أتت بها النّهضة العربية، وما قدّمته للّغة العربية، فرأى فيها صحوة إسلامية قائمة، لا

---

[49] – مجلّة اللّغة العربية، ع: 16، ص: 155، 156.

[50] – عن العوامل التي تؤدّي بالصّحافيين إلى ارتكاب أخطاء في اللّغة، ينظر ما سجّله الدّكتور صالح بلعيد، مجلّة اللّغة العربية، ع: 16، ص: 181 – 183.

تكون معها للغرب المتربّص بالإسلام قائمة، فعمد إلى ضرب اللّغة العربية، صمّام الأمان، ومقوّم الشّخصية، ومحرّك النّخوة العربية الإسلامية. فاقترف ما يذكره الأستاذ: " ولكن فور ما تنبّه الاستعمار الثّقافي إلى أنّ نهضة اللّغة العربية بهذه السرعة المذهلة، نهضة للإسلام، فأخذوا يتآمرون ضدّ اللّغة العربية على نحوٍ تالٍ:

1 – صرفوا عنايتهم باللّهجات العربية الإقليمية، وحاولوا وضعَ القواعد المعيارية لهذه اللّهجات لتكون بديلاً للفصحى.

2 – وخوّفوا النّاس من الفصحى بأنّها صعبة، وليس سهلاً التّمكّن من ناصيتها، ولا طائل في ممارستها؛ لأنّه لا علاقة بينها وبين الحياة المعاصرة.

3 – ونادوا لكتابة العربية بالحروف اللاّتينية، واختاروا لها أنصارًا وأعوانًا من بني العرب.

4 – وقاموا بمطالبة خلق اللّغة العربية الفصحى الوسيطة؛ لتكون سهلةً ووسطًا بين العامية والفصحى.

5 – ودعوا إلى استخدام اللّغة العامية" ([51])

هذا بعض ما تعانيه اللّغة العربية في أوطانها، فما هو الواجب الذي ينتظر من له غيرة عليها؟

الواجب نحو اللّغة العربية

إنّ اللّغة العربية قادرة أن تسترجع مكانتها وهيبتها ودورها في خضمّ الحياة الحاضرة العامّة، التي تتّسم بالسّرعة والتّجدّد المطّرد، وبإمكانها أن تندمج في المسيرة الفكرية العالمية، وأن تقود القافلة، متى جدّد أبناؤها النّية في العمل الجاد، ومتى حسّنوا علاقتهم بلغتهم، ومتى رموا عن أنفسهم خلال الخوف والانهزام والاستسلام، ودفعوا عنهم آفات الكسل والخمول والتّبعية، ومتى وعوا رسالتهم في الوجود نحو لغتهم، وفقهوا خصائصها، واعترفوا لها بقوتّها وقدرتها على استيعاب أسباب الحضارة، وعوامل التّطوّر...

بهذا الوجه الجديد، ستغدو من جديد معلمًا بارزًا من معالم حياتنا الرّاهنة، يقدرها غيرنا قدرها؛ لأنّها ستؤسّس لمستقبل واعد، يكون مبنيًا على عمد صحيحة متينة، توفّره لنا لغتنا، التي أنكرنا قوّتها، وجحدنا فضلها ودورها، ورميناها بالقصور، في حين كان مكانها القصور الشّامخة في القدر والعلوّ والسّؤدد. يقول صالح الخرفي: " ولو قدّر للّغة العربية، بفضل التّربية العربية الإسلامية السّليمة أن تحتلّ في النّفوس مكانة من الاعتزاز، لا تقبل التّشكيك، وإيمانًا بقدرة العطاء، وطاقة الإبداع. لكان يومها أفضل من أمسها، وغدها خير الاثنين معًا: بناءً ذاتيًا، وعطاءً حضاريًا، وإبداعًا علميًا. وهي كذلك عندما تتوفّر لها هذه العصبية القومية، كما هي متوفّرة لكلّ لغات العالم. إنّ الإنجاز الحضاري الذي تحقّقه اللّغة العربية في بعض مواقعها، في الوطن العربي،

[51]– التّأصيل الإسلامي للّغة العربية وآدابها في جهود الشّيخ أبي الحسن النّدوي، ص: 57.

والإبداع العلمي الذي تبرهن عنه بين الفينة والأخرى، إنّما هو بمقدار الإيمان بهذه اللّغة، والثّقة في قدرتها..." ([52])

لكي نرتقي باللّغة العربية إلى المستوى المطلوب، ونصل بها إلى الغاية القصوى، يجب إتباع خطوات مدروسة، وتخطيط منهج محكم، يعمل على استرجاع هذه اللّغة مكانتها في نفوس أبنائها أوّلا، بعدها يعمدون إلى حمايتها من الاعتداء عليها، وصونها من التّزييف والتّشويش. وليتأكّد أبناؤها أنّ مسيرتها وعطاءها التّاريخيين يعطيانهم كلّ الأمل والدّعم للتّشمير عن ساعد الجدّ للعمل على خدمة لغتهم لتنهض كي تقوم بدورها في مسيرة الفكر العالمي. فهي لغة لها القابلية لتتفاعل نع اللّغات الأخرى، ولها القدرة على التّطوّر والنّماء. من هذه الخطوات:

1 – الالتفات حول اللّغة العربية

التّجمّع حول اللّغة (الأمّ) روحًا وعملاً، للظّفر بالوحدة، التي توثّق الصّلة باللّغة، وتمتّن العلاقة بين أبنائها, وهو ما يعين على توفير روح الحماسة لها، وتدفع تلك الحماسة إلى التّقرّب منها أكثر لمعرفة خصائصها، والنّتيجة تكون زرع حسّ تذوّقها والانجذاب إليها. يقول الدّكتور إبراهيم أنيس: " لا تتمّ الوَحدة السّياسية وتستقيم النّظم الاجتماعية في شعب من الشّعوب، إلاّ على أساس الوحدة اللّغوية، التي تصبح للشّعب بمثابة رباط سحري، يجذب أفراده بعضهم إلى بعض، وليوثّقوا الصّلة بينهم؛ فيفكّرون بعقل واحد، ويشتركون في مشاعر وأحاسيس موحّدة، ويتعاونون على ما فيه خيرهم، وما يكفل لهم الأمن والاستقرار والرّخاء." ([53])

هذه الملاحظة مهمّة، وهذا التّنبيه مفيد، يكشفان عن الخطوة الأولى في العمل على خدمة اللّغة، وتضعان الأساس لبناء شامخ شاهق عظيم،. عناصره: الوَحدة السّياسية والفكرية والشّعورية، والرّباط الوثيق، والصّلة القويّة، ثمّ الالتفاف والانجذاب إلى عنصر اللّغة، نقطة الانطلاق السّليم في الحياة أو الممارسة، الذي يوفّر الحياة الحقيقية، المبنية على الأمن والاستقرار والرّخاء. هذه الدّعوة تحتاج إلى خطوات عملية ومخطّطات واقعية لتجسيدها في الواقع. كلّ هذا يمكن القيام به، بعد الحصول على هذا العنصر: الالتفاف حول اللّغة العربية والحماسة لها.

[52] – من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، ص: 21.

[53] – ينظر المصدر السّابق، ص: 158.

2– حماية اللّغة

اللّغة العربية تحتاج – بعد التحمّس لها – إلى الحماية من كلّ أشكال الترهّل والاعتداء والاستلاب والتّهميش، بهذه الخطوة يبدأ الخروج من أنفاق المشاكل والتّخلّف، وينطلق التّطوّر. يقول صالح الخرفي: " والتماس التّطوّر مبدؤه في الاحتماء باللّغة القومية، وليس في الهروب منها. والحماية مسؤولية متبادلة بين المواطن ولغته. والحماية لا تعني التّقوقع، الذي يكتم أنفاس اللّغة، ولكنّه التّفتّح الأصيل، الذي يجدّد دورها الدّموية." ([54])

وممّا يدخل في هذا العنصر إحاطة اللّغة العربية بجملة من القوانين والمراسيم، التي تضمن صيانتها وحمايتها من المعتدين عليها وعلى حرمتها. على غرار ما تفعل الأمم التي تعتزّ بلغتها، وترعى حرمتها وتغار عليها:"...فإنّ الفرنسيين يتّبعون في المحافظة على منزلة اللّغة الفرنسية في العالم، وعلى عالميتها سياسة حمائية، تتمثّل خاصّة في إصدار القوانين والقرارات الرّسمية عن مجلس الوزراء، ونشرها بالجريدة الرّسمية للحكومة الفرنسية، وهي – في معظمها – قوانين وقرارات خاصّة باستعمال اللّغة الفرنسية، والتّصدّي للدّخيل فيها من اللّغة الإنكليزية، يضاف إلى ذلك أنّهم قد خصّوا اللّغة الفرنسية وظاهرة الفرنكوفونية المرتبطة بها بكتابة دولة، تعنى بهما، وتعمل على دعمهما." ([55])

هذا ما يجب أن يقوم به الغيورون على لغتهم لحمايتها. فلقد وقف نائب في البرلمان الفرنسي، وجهر قائلا: إنّنا نضع القوانين لمعاقبة المجرمين، والذين يسرقون ويقتلون، فلماذا لا نضع القوانين لمعاقبة الذين يفسدون اللّغة. ([56])

إنّ هذا النّائب، وعى مسؤوليته، وأنّه أُجلِس على المقعد؛ ليقوم بواجبه نحو إخوانه الذين أعطوا فيه الثّقة، فَيحمي شخصيتهم. وعلم علم اليقين أنّ في إفساد اللّغة قتلاً للأمّة، وهذا الجرم أفظع وأنكى من قتل النّفوس وسرقة الفلوس.

3 – تفعيل مقوّمات اللّغة العربية

إنّ التّفعيل والتّطوير يكونان بالاستعمال والتطبيق. مع تحديث اللّغة على أسس منهجية تراعى فيها شروط التّطوير، بمعنى أوضح وأصرح: تكون تنمية الألفاظ بطريقة مدروسة، تبتعد عن الاعتباطية والعشوائية، وتكون مصحوبة بوعي تامٍ للعملية التّطويرية، ومقرونة بمعرفة صحيحة بطرقها ومضاعفاتها، مع توخّي الحذر

---

[54] – المصدر السّابق، ص: 28.

[55] – الدّكتور إبراهيم بن مراد، " مكانة اللّغة العربية بين لغات العالم الواسعة الانتشار"، ينظر المصدر السّابق، ص: 224.

[56] – ينظر مجلّة اللّغة العربية، ع: 16، ص: 198.

من الانزلاق والسّقوط في نقيض نتائج التّحديث. يجب أن يتمَّ تحديث اللّغة العربية بناءً على قواعد مؤسّسة وأصيلة وثابتة، تنبع من خصائص اللّغة العربية نفسها، وصادرة من الفكر الذي يحكم هذه اللّغة.

مثل ذلك يقال عن الأساليب الغريبة التي زاحمت نظيراتها في اللّغة العربية، فأقالتها عن موطنها وموضعها، فتشوّه البيان العربي، وفسدت أذواق النّاس، واختلط عليهم الأصيل الباني من الدّخيل الهادم.

4 – إشاعة التّعبير والنّطق الصّحيحين السّليمين باللّغة العربية

يجب العمل على إسماع النّاس الكلام العربي الفصيح، في مختلف المستويات والأصعدة والمناسبات والمجالات. لتلتقط الأذن الأصوات الصّحيحة التي تتلاءم مع النّسق العربي. ويطلب الحرص على تعميم ذلك والإكثار منه. والالتزام في الكتابة بالأسلوب العربي السّليم المبين. وتحاشي الأخطاء الإملائية في الكتابات التي تظهر في المحيط الذي يتحرّك فيه ابن اللّغة العربية. وتجنّب الصّيغ التي لا تتوافق مع السّنن العربي في الكتابة. وفي ميدان التّعليم، على المدرّسين أن يدرّسوا باللّغة العربية مهما تكن المادة التي يدرّسونها، وأن يتحرّوا النّطق السّليم لها. وعلى المسئولين والقادة والسّاسة إتقان اللّغة العربية؛ لينطقوا بها سليمة صحيحة، فهم يمثّلون الواجهة والقدوة لمن يسوسونهم.

على المذيعين وهم يستقطبون جمهورًا عريضًا يستمع إليهم، ويشاهدهم ويتأثّر بهم ويقلّدهم أن يراعوا الذّمّة والوفاء والحرمة في اللّغة العربية، فلا يَتَجنَّوا عليها بالنطّق السيئ بها، و بتهجين أسالبها، وتكسير صيغها...

بهذا يمكن أن يشيع التّحدّث والتّعبير باللّغة العربية، فتتعوّد الآذان سماع هذه اللّغة فتألفها، وتسارع الألسن إلى النّطق بها بدل اللّغات الأجنبية الدّخيلة.يقول عبد الإله نبهان: " إنّ العربية من أبرز عناصر هويتنا، وأقوى مقوّمات وحدتنا، لذلك يجب بذل الغالي والنّفيس في سبيل تدعيمها وترسيخها. ومثل هذا لا يقوم به كتيّب ننشره، ولا جدول نصنع عنوانه: قل ولا تقل. إنّ ما ينهض باللّغة هو إشاعة التّعبير الصّحيح السّليم على ألسنة المتعلّمين والمذيعين والممثّلين، وعلى صفحات الجرائد والمجلاّت والكتب العامّة وكتب التّعليم..وإنّ الإلحاح على تقديم المتعة باللّغة الفصيحة، عن طريق الأغنية والتّمثيل، ليقدّم للّغة خدمة جلا، قد تعجز عنها عشرات المؤلّفات، في عصر انصرف فيه كثير من النّاس إلى المشاهدة والاستماع. " ([57])

إصابة هذا الهدف، أو تنفيذ هذا المطلب يتطلّب استعدادًا كبيرًا وإعدادًا جادّا؛ بمعرفة اللّغة العربية وإتقانها: مفردة وتركيبًا وصيغًا وأساليب...وإلاّ عسر تحقيق هذا المطلوب. يضيف محمد سويسي: " إنّما اللّغة

[57] – مجلّة اللّغة العربية، ع: 16، ص: 194.

أداة يكون لها من الصّلاحية والنّجاعة بقدر ما يكون لمستعمليها من الكفاءة والبراعة، وبقدر ما يكون زادهم العلمي أوفر ومستواهم الثّقافي أعلى وأشمل." ([58])

5 – إعداد العلماء الرّاسخين في العلم

بعد وجود من يجيد النّطق بالعربية سليمة، نطلب العلماء الرّاسخين الذين يستثمرون إمكانات اللّغة العربية، ويفجّرون طاقاتها؛ لتنتج العلوم، وتوفّر المعارف. هؤلاء هم الذين يطّورون البحث بها، ومن خلالها، وبذلك يثبتون جدارة هذه اللّغة في السّير في ركاب الإبداع والتّطوير يقول محمد سويسي: " فلا يمكن للعربية إذن أن تتقدّم، وأن تتجدّد في الميدان العلمي والفلسفي والاقتصادي والفنّي، ما لم يتكوّن من أبناء العربية في العلوم سائرها، والفنون كافّة، ينتجون في جملة فروعها، ويكشفون اللّثامَ عن مفاهيم جديدة، ويستنبطون طرقًا مستحدثة، ويقفون على معلومات طريفة، فيعبّرون عنها، بما يرونه لائقًا بها، موافقًا لمدلولها ومضمونها. " ([59])

هذا الدّور تقوم به مراكز التّكوين، ومؤسّسات التّربية والإعداد. ومناهج التّعليم...فهذه مسؤوليتها كبيرة في بناء القاعدة الصّلبة في اللّغة العربية، وتكوين الذّوق والحماسة نحوها... لنا أن نتساءل: ماذا تعدّ مدارسنا وجامعاتنا ومراكز التّكوين، والمؤسّسات الثّقافية من النّاطقين باللّغة العربية، ومن دعائم لها، والمتحمّسين والحماة لها، وكيف تعدّهم؟؟ " إنّ تطوّر لسان عربي علمي، ليس شرطًا من شروط الوحدة الثّقافية والتّقدّم العلمي وحسب، ولكنّه شرط لازم من شروط القوّة والمنعة، وسبيل إلى تحقيق الوحدة العربية الشّاملة" ([60])

6 – استنفار الجميع

تطلب اللغة العربية من جميع أبنائها الالتفاف حولها، والتّحمّس لها، ومناصرتها وحمايتها، والذّود عن حوضها. تطلب منهم الشعور بالمسؤولية الكاملة نحوها. وذلك يفسح المجال لها في حياتهم بكلّ جوانبها؛ حتّى تغدو جزءاً من وجودهم.

7 – الدّعم الحكومي والقرار السّياسي

نجاعة الخطوات السّابقة تتوقّف أساسًا على ما توليه الحكومات العربية من اهتمام، وتتحمّله من مسؤولية نحو لغة الهوية والفكر والثّقافة، وما توفّره من إمكانات مادية ومعنوية؛ لتستعيد اللّغة العربية مكانتها

---

[58] – ينظر كتاب من قضايا اللّغة المعاصرة، ص: 153.

[59] – المصدر السّابق، ص: 144.

[60] – المصدر السّابق، ص: 13.

ودورها، ولتقوم بما قامت به في القديم: من تنمية الفكر، وتطوير الحياة، بالإبداع والابتكار والتّخصيب، والتّفاعل مع اللّغات والثّقافات الأخرى.

كما أنّ القرار السّياسي الذي تتّخذه السّلطة، التي بيدها الحلّ والعقد والــرّبط، والأمــر والنّهــي. وفي قبضتها الزّجر والرّدع...من شأنه ترشيد النّاس إلى احترام لغتهم، وتوجيه النّاشئة إلى تعلّم لسانهم العربي، منــذ بداية مشوارهم الدّراسي، ومتابعة رعايتهم إلى آخر مراحل التّكفّل بهم. واحتضان الشّباب في نوادٍ وجمعيــات وتنظيمات ومؤسّسات، وهيئات فكرية وثقافية وسياسية وفنّية ورياضية... تكون من برامجها الاحتفاء باللّغــة العربية، واستعمالها في المحادثات والمكاتبات والمناقشات...

ومن واجبها سنّ قوانين، وإصدار قرارات، وفرض عقوبات على كلّ من يدوس على اللّغة العربية، أو يتهجّم عليها، أو يهمّشها، أو يتطاول عليها، أو يتنكّر لها...وضمن ذلك يمكن للسّلطة أن توجد في بعض المؤسّسات مدقّقين لغويّين، أو مراقبين لغويّين، مهمّتهم حماية اللّغة العربية. بداية من عرض ما يُقَدَّم لعامّة النّاس من إعلانات أو إشهارات أو دعوات باللّغة العربية عليها، قبل إخراجها إلى الفضاء الخارجي، وانتهاء بمراقبة المحيط والتّبليغ عن كلّ خطأ يرتكب في حقّ اللّغة العربية، فيما بتداوله النّاس في حياتهم اليومية، بخاصّة ما يكون في واجهات المحلاّت التّجارية، والملصقات التي تكون في بعض الأماكن العامة. فتختفي من الشّارع – مثلا – كلمة (حذاري)، التي أقلقت أصحاب الأذواق السّليمة، وتعود إلى أصلها (حذارِ). وتنتقل الألف التي وضعت قسرًا على (السّاعادة) إلى (اتّصلت)، التي سلبت منها جورًا وعدوانًا، فتصبح (اتّصالات)...

يقول إبراهيم بن مراد: لا يمكن للّغة العربية " أن تستعيد دورها بين لغات العالم الواسعة الانتشار، إلاّ إذا اتّخذت الدّول العربية سياسات لغوية واضحة، علمية الغايات والأهداف، خالية من الدّعاية الظّرفية. على أنّ تلك السّياسات لا يمكن لها أن تثمر، وأن تكون ناجحة ما لم تتوحّد في سياسة واحدة، يُتّفَق عليها، وتُتَّخذ جماعيًا. فإنّ اللّغة العربية ليست لغة دولة دون أخرى، بل هي قاسم مشترك بين الدّول العربية جميعًا، ولذلك فإنّ المشاريع التي تحقّق للرّقيّ بها وإلحاقها باللّغات العالمية الواسعة الانتشار، ينبغي أن تكون مشاريع جماعية، وأن تكون الميزانيات المرصودة لها مشتركة." ([61])

قال الشّاعر:

لكلّ قومٍ لسانٌ يعرفون بـــه إن لم يصونوه، لم يعرف لهم نســبُ

لن يدرك المجدَ شعبٌ، ما له لغةٌ تَحوطها دولةٌ، أسيافها قُضـــــبُ

بعد هذا العرض المقتضب نتساءل ماذا تطلب اللّغة العربية؟

[61] – ينظر كتاب من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، ص: 224.

مطالب اللّغة العربية

مطالبها كثيرة؛ لكثرة ما اقترف في حقّها، وطول الزّمن الذي جرحت فيها كرامتها، وديست حرمتها، وهضم حقّها، وسلّطت عليها ألوان من الظّلم والضّيم. نذكر بعضها:

1 – أن تستعيد دورها في الحياة العامّة، وفي مسيرة الفكر الإنساني. بإخراجها إلى فضاءات رحبة، غير قاعات الدّراسات، والمجالس الضّيّقة المتخصّصة، والمجالات البحثية الخاصّة...إذ كما يقول الشّيخ أبو الحسن النّدوي: " لابدّ من إخراج اللّغة العربية من داخل حيطان الأماكن المقدّسة إلى مواقف الحياة، مع الصّيغة الإسلامية، فتجد اللّغة العربية لونها وسمتها الأصيلة المغصوبة." ([62])

2 – أن يحميها أبناؤها من الاعتداءات المتكرّرة عليها من الدّاخل والخارج، وأن يتحمّلوا المسؤولية الكاملة في ذلك، فلا يجوز أن يغفلوا عن ذلك لحظة واحدة، أو أن يتأخّروا عن هذا الواجب قيد أنملة.

3 – أن يسترجع أبناؤها الثّقة بها، فإنّ ذلك مصدر العطاء؛ فإنّ هذا سيمنحها المجال كي تنطلق في الآفاق الرّحبة بأبنائها المتحمّسين لها، الآخذين بزمامها، الملتفّين حولها، فتنتج وتبدع.

4 – تتوسّل من أبنائها أن يحسّوا بجمالياتها، ويدركوا خصائصها، ويعرفوا أسرارها...فينشطوا ليداولوها فيما بينهم، ويتعاملوا بها؛ بما تستحقّه من برّ وتقدير وتكريم.

5 – العمل على تبسيط تعليمها، وانتقاء الأساليب النّاجعة، واستعمال أحدث الوسائل في تدريس قواعدها.

6 – القيام بدفع التّهم عنها، وتصحيح التّشويهات والتظليلات، وردّ الشبهات.

7 – الاهتمام بإعداد المكوِّن فيها، وتوفير الجوّ الملائم والبيئة الصّالحة لعمل المعلّم في هذا الفضاء.

8– المران عليها وكثرة الاستماع إليها، والتّحدّث بها.

9- حضور اللّغة العربية الصّحيحة في المدارس والجامعات، وأن تكون هي لغة التّدريس، فيما يُدرَّسُ بالعربية. أي على المعلّم والأستاذ أن ينطق باللّغة العربية السّليمة، أيًّا كانت المادة التي يدرّسها.

10 – تفريغ التّلاميذ لدراسة اللّغة العربية، في المراحل الأولى من التّعليم، ولا يشغلون عن إتقانها بلغة أجنبية، تشوّش عليهم سبيل تعلّمها بشكل سليم. فإنّ هذا يساعدهم على التّركيز عليها: استماعًا وقراءة ومحادثة وكتابة. فإنّ تلقين الطّفل – بخاصّة – أكثر من لغة في سنواته الدّراسية الأولى خطرٌ على اللّغة (الأمّ).

---

[62] – الدّكتور محمد عبد السّلام آزادي،التّأصيل الإسلامي للّغة العربية وآدابها في جهود الشّيخ أبي الحسن النّدوي، ط1، 1427هـ/ 2006م، دار المنارة للنّشر والتّوزيع والتّرجمة، المنصورة، مصر، ص: 66. ينظر أيضًا السّيد رزق، " اللّسان العربي والإسلام "/ مجلّة مجمع اللّغة العربية المصري،(1958)، 10/ 143.

11- إتقان المسؤولين والمرشدين والوعّاظ وسراة القوم، وأصحاب الصّدارة للّغة العربية.

12- سحب عذر الفرد العربي الذي يقول لمخاطبيه من العرب: اعذروني، أنا لا أحسن العربية. فأنا لا أستطيع أن أحدّثكم بها؛ لأنّني لا أتقنها. فليعلم هذا أنّه بذلك يزجّ بنفسه في منفى، كما قال الشّاب سليم، مخاطبًا باللّغة الفرنسية إخوانه الجزائريّين المجتمعين في حفلة تأسيس النّادي العربي بباريس، والحزن بادٍ على وجهه: " كم يحزنني، ويمزّق نياط قلبي أن أكون عربي الأصل، عربي النّزعة، فلا أستطيع أن أخطبكم إلاّ بلغة الأجنبي، وأن أستمع لخطبكم، فلا أفهم منها إلاّ نبراتكم، التي تهزّ جوانحي، وأرى حماسكم، فأكاد أطير جنونًا بكم..." ([63])

وقد كان حال الكاتب الجزائري مالك حدّاد مأساة حقيقية، تبعث على الشّفقة والرّثاء، وفي الوقت نفسه تدعو إلى التّقدير والاحترام، لأنّ في مواقفه وفاء للّغة (الأمّ)، وفيها عبرة ودرس كبيران لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيدٌ. عاش الرّجل حزينًا كئيبًا؛ لأنّه لا يحسن مخاطبة بني قومه بلغته الأصلية، فكان يناجيهم ويتحدّث إليهم بلغة المستعمر، المدمّر للغته.كان يردّد: (اللّغة الفرنسية هي منفاي.)

يقول الدّكتور عبد الله ركيبي عن مالك حدّاد: "...وعرفت فيه تلك الغيرة الشّديدة على العروبة، والمرارة التي عاشت تملأ نفسه، من أنّه سجين لغة أجنبية، من أنّه معقود اللّسان، يتيم التّعبير، لا يقوى على الغناء؛ لأنّه محروم من شدوه الطّبيعي، بلغة آبائه وأجداده. وهذا ما عبّر عنه في قوله لصديقه الشّاعر الفرنسي:(بلى يا أراجون، لو كنت أعرف الغناء لتكلّمت العربية). وحين يصحب معه ولده إلى الاتّحاد (اتّحاد الكتّاب الجزائريّين) يشير إليه قائلاً له: هذا هو انتقامي. لأنّ ابنه يدرس العربية مع أبناء جيله من الأطفال الجزائريّين.

إن هذا الخطّ القويّ الشّفاف الذي يربطه باللّغة –الأمّ)، هو سرّ مأساته، التي عبّر عنها فنًّا مبدعًا، شعرًا ورواية. وهو شيء يميّزه ويطبع أدبه بطابع خاصّ، يدلّك عليه، حتّى ولو لم يوقعه. يقول في مقدّمة روايته: " سأهبك غزالة: " اللّغة الفرنسية حاجز بيني وبين وطني، أشدّ وأقوى من حاجز البحر الأبيض المتوسّط، وأنا عاجز عن أن أعبّر بالعربية عمّا أشعر به بالعربية: إنّ الفرنسية لمنفاي."([64])

13- المراسلات بين المصالح الإدارية، وبينها وبين المواطنين تكون باللّغة العربية.

14 - العمل على نشرها، على نطاق واسع، داخل مواطنها وخارجها, والاهتمام بتعليمها لغير النّاطقين بها، ما داموا راغبين في تعلّمها، مهما يكن دافعهم إلى ذلك. إنّ إقبال غير العرب على تعلّم العربية

---

[63] - أبو اليقظان إبراهيم/ " اللّغة العربية غريبة في دارها " ، جريدة وادي ميزاب، ع: 55، (03/ 11/ 1927م). ينظر أيضًا اللّغة العربية غريبة في دارها، ط2، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ص: 28م.

[64] - الدّكتور عبد الله ركيبي، عروبة الفكر والثّقافة أوّلاً، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص: 121، 122.

يزداد يومًا بعد يوم، ومنهم من يحرص على تعلّمها، أو التّعامل معها بطرق علمية. التقيت سنة 1996م في بغداد بدكتورة من كوريا الجنوبية، منحتها جامعتها، التي تدرّس فيها- وفي قسم اللّغة العربية بها – تفرّغًا لمدّة سنتين، التحقت بالجامعة الأردنية؛ لتعدّ قاموسا كوريًا عربيًا، فتعين أهل بلدها على فهم اللّغة العربية، والتّعامل بها. وغير هذه التّجربة كثير.

ننقل ما سجّله الدّكتور خالد حسين أبوعمشة، معلّقًا على المؤتمر الدّولي لتعليم اللّغة العربية للنّاطقين بغيرها ([65]): " وما لفت الانتباه في تداولات المؤتمر كثرة الإقبال على تعلّم اللّغة العربية وتعليمها للناطقين بغيرها؛ إذ برز كثير من المهتمّين والمعنيّين في البلاد الغربية بذلك، تحقيقًا لأغراض سياسية واقتصادية ودبلوماسية، فضلا عن السّياحية, خاصّة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م. كما تزايد اهتمام قطاعات كبيرة من أبناء الشّعوب الإسلامية غير العربية بتعليم اللّغة العربية؛ لأسباب تتعلّق بالرّغبة في فهم القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف، والتّواصل مع الشّعوب العربية من جهة، فضلا عن الأسباب الاقتصادية والسّياحية من جهة أخرى. كما لوحظ كثرة المراكز اللّغوية التي أخذت على عاتقها مهمّة تعليم اللّغة العربية للنّاطقين بغيرها، وتنافسها في ذلك، سواء في البلاد العربية أم الأجنبية, الأمر الذي يبشّر بكلّ خير في الاهتمام بلغة القرآن، والقيام على نشرها، وتيسير تعليمها." ([66])

إنّ هذا الملاحظة أو الانطباع يضاعف من مسؤولية أبناء العربية، في القيام بالواجب خارج ديارهم، فلا يقبل لهم أيّ عذر في التّخلّي عنه. بل إنّ الظروف مشجّعة على الإقدام بكلّ حماسة وقوّة، وبتخطيط ودراسة محكمة في السّير قدمًا في هذا السّبيل. وفي الوقت نفسه يقدّم درسًا لا ينسى، ويعطي تحذيرًا مبكّرًا لكل من يهين لغته العربية في أوطانها.

لماذا لا يكون لتجارنا – مثلا الذين يجوبون ربوع العالم للتجارة – ذلك الحسّ الدّيني، والمسؤولية الكاملة على مقوّماتهم، فيرحّلون لغتهم معهم إلى حيث يسافرون؛ لينشروها كما كان يفعل أجدادهم في القديم. الذين كانوا يحملون إلى جانب البضاعة تعاليم الإسلام ومقوّماته، فينشرونها أين يحلّون، وبذلك انتشر الإسلام، وتعلّم أهالي تلك الأوطان اللّغة العربية، وأبدعوا بها وأفادوا. فالصّين اليوم من البلدان التي يمكن القيام فيها بهذا العمل؛ نظرًا لكثرة تردّد إخواننا التّجار عليها، وبأعداد هائلة، ولكون أهل هذه الدّولة ممّن لوحظ عليهم الرّغبة في تعلّم العربية؛ لدوافع مختلفة، وفي بعض جامعاتها أقسام للّغة العربية. فلماذا لا تستغلّ هذه الظّروف لتوسيع رقعة وجود اللّغة العربية؟

---

[65] – انعقد بمركز اللّغات بالجامعة الأردنية، عمّان/ الأردن، في الفترة: 1 – 3 من جمادى الأولى 1429هالموافق 6 – 8 من أيّار 2008م.

[66] – مجلّة إسلامية المعرفة، ع 53، صيف 1429هـ،/ 2008م، ص: 203، 204.

تطلب وترجو اللّغة العربية ألاّ تكون حبيسة الدّيار العربية. وعلى العرب أن يقوموا بالمبادرات العلمية الجادّة، في تعليمها لغير العرب، بطرق عصرية، مصبوغة بالطّابع الإسلامي. ([67])

[67] – ينظر كتاب: لماذا اللّغة العربية؟ فصل: " اللّغة العربية ومسؤولية الدّعاة المسلمين في البلاد النّاطقة بغير العربية "، ص: 71 – 87.

الخلاصة

إنّ اللّغة العربية مقوّم أساس في الهوية الإسلامية، وعنصر البقاء للقومية، وأداة تحريك الفكر...العناية بها والمحافظة عليها وتطويرها، وفسح المجال لها في الحياة العامّة، يحفظ للمنتمين إليها حقّهم في العيش بأمن وسلام وراحة، ويضمن لهم احترام غيرهم لهم. في التّفريط في ذلك ضياع وتيه وهلاك بعد ذلك.

للأسف إنّ هذه اللّغة تعاني مشكلات كثيرة، وشقاؤها آتيها من أبنائها، ووأدها قد يكون من المنتسبين إليها؛ عن عمد للتّخلّي عنها، وربّما محاربتها. أو عن تقصير في القيام بها وبشؤونها، وفي العمل على تطويرها. أو عن سذاجة وغفلة عمّا يخطّط لها، ويدبّر في الخفاء والعلن.

هذه المشكلات كثيرة وخطيرة، وهي في تزايد سريع، ممّا ينذر بكارثة كبيرة تلحق باللّغة، ثمّ الهوية بعدها. فبات لزامًا النّهوض والتّحرّك والإسراع في تدارك الأمر، وإصلاح الوضع، ورأب الصّدع. فالمسؤولية دينية أوّلا؛ لأنّ اللّغة العربية ناقلة الرّسالة، ومبلّغة الوحي الإلهي. فبقاء القرآن مرهون ببقائها. وتاريخية ثانيًا؛ لأنّ الأجيال المتعاقبة ستحاسب المفرّطين في حقّ مقوّم هويّتهم ومُقيمِها. وهي مسؤولية حضارية ثالثًا؛ لأنّ هذه اللّغة حاملة فكر كبير راقٍ، هو حقّ للبشرية كلّها، بحكم أنّها حاوية وحاملة للرّسالة الخاتمة الخالدة، التي أرسلت للعالمين كلّهم، وللنّاس كافّة. خذلانها أو وأدُها يصيب الحضارة الإنسانية بانتكاسة وتخلّف. فالواجب إذن تغيير راهن اللّغة العربية المتردّي إلى رهان على الرّقيّ بها إلى مستوى القوّة والعزّة التي تتمتّع بهما. فهذه بعض المقترحات والتّوصيات، نقدّمها في ختام هذا العمل المتواضع، عسانا نسهم مع المساهمين الجادّين في خدمة لغتنا، وتسهيل السّبيل لها لتقوم بما وجدت من أجله.

مقترحات و توصيات ([68])

1 – الاعتناء بتلقين النّشء اللّغة العربية بالطّرق السّليمة، منذ الصّغر، كتعليمهم قراءة القرآن وحفظه في سنّ مبكّرة، وتحفيظهم نصوصًا عربية فصيحة: أحاديث نبوية وأشعارًا، وتوفير نصوص نثرية فصيحة أمامهم. هذا ما يفيدهم في تقوية ملكتهم اللّغوية، ويربطهم منذ البداية بأصولهم الحقيقية. فتلقين الطّفل لغة سليمة خالية من الأخطاء، وعلى أصول صحيحة، تُكوِّن فيه القاعدة اللّغوية الصّلبة التي يبني عليها صرحه العلمي. الإغفال عن هذه الملاحظة ينتج لنا هذا الفرد الضّعيف الذي نُعايِنُه ونُعايشُه اليوم.

2 – في اختيار نصوص القراءة في المرحلة الابتدائية – بخاصّة – يجب مراعاة توزيعها: بين ما يعنى بالجانب المعرفي، وما يعنى بما يعين على تكوين ملكة الإبداع والتمرّن على الكتابة الفنّية الأدبية، كالموضوعات

---

[68] – هناك توصيات مهمّة في كتاب: من قضايا اللّغة العربية المعاصرة فلتراجع. الكتاب هو مجموعة بحوث ودراسات قيّمة، نشرتها المنظّمة العربية للتّربية والثّقافة والعلوم، بعد المؤتمر السّابع للوزراء المسئولين عن الشّؤون الثّقافية في الوطن العربي. الذي انعقد بالرّباط بالمملكة المغربية: 9 – 12 ربيع الأوّل/ 10 – 13 أكتوبر 1989م. وكان كلّ بحث يختم بتوصيات.

التي تهتمّ بالوصف، لأنّ الوصف يوسّع دائرة الخيال في التّلميذ، ويدفعه إلى إعمال عقله، فتتكوّن فيه حاسّة تذوّق الأدب، فيقبل على اللّغة العربية. شرط أن تكون النّصوص المقترحة منتقاة بعناية ودراسة معمّقة، تخدم الغرض من تدريس الأدب، وتعين على التّمرس على اللّغة العربية. ([69])

3 – " تدريس (خصائص اللّغة العربية) على مستوى التّعليم الثّانوي، يتناول نبذة عن تاريخ العربية، وتميّزها بقدمها واستمرار تطوّرها ونموّها مع محافظتها على ملامحها الأصيلة، وعن حقبة ازدهارها وثبوتها في زمن تداعي البلاد وضعفها، وخصائصها المميّزة بشمولية حروفها وأصواتها، ووفرة مفرداتها وثرائها بالمترادفات، وكثرة أبنيتها الاشتقاقية، ممّا يوفّر طواعيتها للاصطلاح العلمي، وعمّا شرّفها به تعالى من إعلاء شأنها في كتابه العزيز، وأقوال العرب والمسلمين والأجانب فيها، ليتعرّف الطّلبة أهمّيتها ومكانتها؛ فيعتزّوا ويتمسّكوا بها." ([70])

هذه التّوصية توجّه الأنظار إلى ربط الطّلبة بالتّراث، والتّعمّق في معرفة أسرار اللّغة العربية؛ للتمكّن من اللّغة، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة نحوها. فمن شأن هذا أن يحكم الرّباط بين الأجيال المتعاقبة وتراثهم، كما يرجع ثقتهم به وبلغتهم، فيتمسّكون بها، ويتحمّسون لها.

4 – تأسيس نوادٍ، وتكوين جمعيات على مستوى المدارس المتوسّطة والثّانوية والجامعات، تعنى بالتّدريب والتّطبيق على موضوعات اللّغة العربية وآدابها, تكون فيها الخطابة والمناظرة والمحاورات اللّغوية والأدبية، وكتابة المقالة، والتّمرّس على المسرح، والتّدرّب على نظم الشّعر. والتزام اللّغة الفصيحة فيها، أو الاجتهاد في استعمالها، في مرحلة التّدريب؛ لتتكوّن في الطّلبة الملكة.

4 – إقامة مسابقة سنوية في المناظرة باللّغة العربية بين الطّلاب المتخصّصين في اللّغة العربية وآدابها في الجامعات ومراكز اللّغات؛ تقويةً للأداء الإلقائي في اللّغة العربية، وتكون هذه المسابقات بين مستويات مختلفة للنّاطقين بالعربية وللنّاطقين بغيرها.

5 – تنظيم دورات مستمرّة للمعلّمين والأساتذة عامّة، ومدرّسي اللّغة العربية خاصّة، لتطوير معارفهم اللّغوية، وتحسين أدائهم المهني، حتّى يؤدّوا عملهم على أحسن ما يكون. ويكون الأمر أكثر إلحاحًا مع الذين درسوا في الدّول الغربية، و لم تتوفّر لهم الفرص الكاملة لتعلّم اللّغة العربية، التي يحتاجون إليها، ونحن ندعو إلى التّوجّه إلى تدريس العلوم في جامعاتنا – بخاصّة – باللّغة العربية.

---

[69] – ينظر كتاب من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، ص: 133. فيها توصيات مهمّة للاعتناء باللّغة العربية في التّربية والتّعليم ، بخاصة في المراحل الأولى.

[70] – الدّكتور جميل عيسى الملائكة، ينظر كتاب: من قضايا اللّغة العربية المعاصرة، ص: 134. وعن خاصية التّواصل مع التّراث العربي واعتماده، وكونه ضرورة وفرضًا على كلّ مستعمل للّغة العربية، ينظر ما ذكره الدّكتور صالح بلعيد، مجلّة اللّغة العربية، ع: 16، ص: 187، 188.

6 – إشاعة اللّغة العربية في المحيط الذي يتحرّك فيه العربي. إذ لا ينبغي أن يُحسّ أنّ اللّغة العربية غريبة عنه في البيئة التي يعيش فيها. فلا تكون لغته (الأمّ) لغة المناسبات والمقامات المحدّدة، ولغة أداء الفرائض الدّينية فحسب، أو لغة خاصّة بفئة دون فئة...يجب أن يشعر كلّ عربي أنّها جزء من كيانه، وبعض منه، وأنّها بمكانة الدّم الذي يسري في جسده، فقدانه لها يعرّض نفسه للهلاك والفناء.

7 – إلى جانب أساليب التّرغيب والتّحبيب والإغراء، يجب توخّي وسائل الزّجر والرّدع والتّعزير؛ فالإنسان جبل على الامتثال طوعًا أحيانًا، وكرْهًا أخرى. هذه إرادة الله، وسنّة الحياة. فالعطف والرّحمة تنطلق أحيانًا من القسوة والشّدّة، اللّتين توفّران عواقب، هي خيور وفوائد، كما قال الشّاعر:

فقسَا ليزدجروا، ومن يكُ راحمًا فَلْيَقْسُ أحيانًا على من يرحمُ

فرحمة بمن لا يعرف مصلحته، أو من يتعنّت ويصرّ على البقاء في الضّلال المبين، أن يؤخذ بالشّدّة، حتّى يفهم ويعي، ويستبين الحقّ، فيُجنَّبَ المزالق والعواقب الخيمة. لذا على المسئولين وأصحاب مراكز القرار، سنّ قوانين تلزم أبناء اللّغة العربية باستعمالها سليمة، على الأقلّ في مجالات معيّنة. وإصدار قوانين ردعية زجرية عقابية لمن يتعدّى على اللّغة العربية: استهانةً بها، وتهميشًا لها، وإبعادَها عن الميادين التي يجب أن تكون فيها، وتكسيرها وتشويهها...

في السّياق ذاته يجبُ تشديد النّكير، بل الغلظة على من لا يحترم السّيادة، ويدوس على الشّخصية، ولا يتقيّد بالتّحدّث باللّغة العربية في المحافل الدّولية، بخاصّة التي تكون اللّغة العربية من بين اللّغات الرّسمية فيها. بل يفترض أن يسعى كلّ من يتبوّأ مقعدًا في تلك المحافل والمنتديات أن يفرض لغته فيها.